الباب الثانى

فى فضل الذكر وأوراد الطريق

سلسلة رجال الطريق

كان شيخنا رضى الله عنه يتعبد على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وقد سلك طريق السادة الصوفية على طريق سيدى على البيومى رضى الله عنه فقد أخذ العهد والتلقين عن سيدى الشيخ شناوى يوسف السابق ذكره وهو أخذ عن سيدى الشيخ سيد السنباوى وهو أخذ عن سيدى الشيخ على أبو كيله وهو أخذ عن سيدى الشيخ عبده الصغير وهو أخذ عن سيدى الشيخ محمد الصغير وهو أخذ عن سيدى الشيخ يوسف الوقاد وهو أخذ عن سيدى الشيخ بدوى المنجد وهو أخذ عن صاحب المدد العالى العالم العلامة مربى المريدين . ومرشد السالكين . شيخ الشريعة والطريقة . ومعدن السلوك والحقيقة .

فريد عصره . ووحيد دهره . ذو الكرامات الظاهرة
وأسرار العلوم الباهرة . سيدى الشيخ على نور الدين
البيومى الشافعى مذهباً الأحمدى طريقة الحلبى الشناوى
الدمرداشى الخلوتى النقشبندى الشاذلى طريقة المتوفى سنة
١١٨٣ هجرية وهو أخذ العهد الموصل لسيدى أحمد البدوى
عن الشيخ عبد الرحمن الحلبى عن والده الشيخ عبد الرحمن
عن الشيخ شهاب الدين أحمد السبعى عن العلامة الشيخ
شحاذة بن على العراقى عن الشيخ أحمد الشرمنتى عن
الشيخ ابراهيم الجبالى عن الشيخ أحمد المنير عن الشيخ
محمد الشناوى عن الشيخ ابراهيم الجبرتى عن الشيخ شمس
الدين الخضرى عن الشيخ عبد الله السنجيدى المقيم بالمقام
الأحمدى عن الشيخ عبد الله الشناوى عن الشيخ عمر
المناوى عن الشيخ جمال الدين السيوطى عن سيدى عبد
الوهاب الجوهرى عن شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى شيخ
مصر والشام والروم والعراق وسائر الممالك الإسلامية
سيدى أحمد البدوى القطب النبوى الشريف العلوى عن

شيخ مشايخ الغرب الشيخ عبد الجليل بواسطة أخيه بدر الدين حسن الأنور عن الشيخ عبد الجليل عن الشيخ عبد الحميد عن الشيخ نور الدين عن الشيخ أبي الحسن عن الشيخ زين الدين عن الشيخ عبد الرزاق الأندلسي عن الشيخ عبد القدوس عن الشيخ شمس الدين المغربي الفاسي عن الشيخ أحمد النواوي عن الشيخ حبيب العجمي عن الإمام الحسن البصري عن الشيخ عمران بن الحصين عن الإمام رُبَيعة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين وإمام المتقين صلى الله علية وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

أوراد الطريق

أمرنا رضي الله عنه بالذكر دائماً ومنع من اتخاذ الأحزاب الأخرى أوراداً للسالك بل حث على الذكر وعدم الغفلة وعلى جهاد النفس وخلو القلب من مشاغل

الدنيا والاستمرار على الطاعة عملا بما ورد (أفضل الأعمال أدومها وإن قل) وبما ورد أيضاً (أحب الاعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب بذكر الله)

وخصص رضى الله عنه الذكر بالأسماء الآتية وأن تكون هى الورد الدائم بالليل والنهار عملا بعموم قوله تعالى (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) وأن يذكر كل اسم مائة ألف مرة على الترتيب بحيث يذكر لا إله إلا الله مائة ألف مرة ثم ينتقل إلى ذكر الاسم (الله) مائة ألف مرة ثم مابعدهما مائة ألف مرة وهكذا اسما بعد اسم حتى ينتهى من ذكر الأسماء فاذا انتهى عاد إليها مرة ثانية على الترتيب المذكور وهكذا دائماً أبداً ولا يحسب العدد إلا ليلاً

واشترط رضى الله عنه ملاحظة معانى الأسماء حسب ما لقنها وأكد ذلك لأنها توجب خلوة القلب بالمذكور سبحانه وتعالى وتورث التفكير به فتنتفع الروح بأسرار الأسماء وتتداوى بخواصها وتستشعر بعظمة الخالق

الأكبر من معانيها . وقد ورد فى الحديث (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) أى بلا تفكر

(وها هي الاسماء ومعانيها)

لا إله إلا الله	ومعناها	لا معبود بحق إلا الله
الله	ومعناه	علم على الذات العلية
هو	»	حاضر لا يغيب
حى	»	دائم الحياة
واحد	»	لا ثانى له
عزيز	»	لا نظير له
ودود	»	كثير الود لعباده
حق	»	ثابت لا يزول
قهار	»	الذى يَقْهر ولا يُقْهر
قيوم	»	قائم بأسباب مخلوقاته
وهاب	»	كثير العطاء
مهيمن	»	مطلع على أفعال مخلوقاته
باسط	»	يبسط الرزق لعباده

obeikandl.com

وقد قيل لنا أنه رضى الله عنه ذكر جميع الأسماء فوجد فى هذه الثلاثة عشر فتحاً لأرواح المبتدئين يتدرج بهم إلى معرفة جلال الله وقهره فيخشونه . ولذا فإنه رضى الله عنه أعطى إذناً عاماً بذكره تعالى بالعدد المار وبالترتيب المذكور لجميع من سلك طريقه وجعلها وردهم فلا ورد لهم خاص غير الذكر

وكان بعض السالكين يطلب منه أن يأذنه بذكر اسمه تعالى (اللطيف) ومعناه مصور الشئ فى قالب ضده فكان يأذنه ولكن كان ذلك بعد أن يرى استعداده لتحمل خواص الأسماء وأسرارها بعد أن يذكر الاسماء المارة أدواراً كثيرة فلا ينبغى لأحد ذكره بدون اذن

ولقد كنا نرى الخير فى اتباع مايأمر به رضى الله عنه بدون طلب فربما كان الطلب لغاية النفس . وغاية النفس من دواعى الحجاب

ولا بد عند البدء فى الذكر من قراءة الفاتحة لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ثم لرجال السلسلة

ثم لسيدى أحمد البدوى ثم لسيدى على البيومي ثم لأستاذنا رضى الله عنه كما نقرؤها مع ذلك لشيخنا خليفته من بعده نجله سيدى الشيخ ابراهيم أبو خليل رضى الله عنه

وفى هذا المقام أى عند البدء فى الذكر يندب للذاكر أن يستحضر النبي صلى الله عليه وسلم بقلبه كأنما يذكر فى حضرته ويطلب الاستمداد منه إذ هو صلى الله عليه وسلم صاحب المدد أى السر والخير الذى هو دائم الفيض على عموم الخلق فليس بمقطوع فى وقت من الأوقات ولا ممنوع عنهم بحجاب . ثم يستحضر شيخه أيضاً بقلبه ليأنس به فى الحضرة . ومعنى ذلك أن الذاكر يعلم أن شيخه ممده بروحه ناظر اليه طالما كان يذكر الله تعالى وأنه بإشراق روحه الطيبة يمنع عن قلبه خواطر السوء وعبث الشياطين . وهذا لا يلزم منه أن يرى الشيخ أو يستحضر شخصه بقلبه تخيلا كما يظن البعض فيشغل نفسه بملاحظة هذا الخيال عن استحضار معنى الذكر المطلوب بل الغرض أن يأنس المريد بأن شيخه مع النبي صلى الله

عليه وسلم فى حضرة المذكور فيتأدب مع الله بحضور قلبه ويحصل له الخشوع فإذا اشتغل بالحق ترك نفسه مع الخلق وترك رؤية الذكر والذاكر ومحا نفسه فى حضرة المذكور الذي يراك من حيث لا تراه . والذاكر عبد احسان . والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (كما ورد فى الحديث) . ومتى جذبت الروح اليه سبحانه وتعالى فلا رؤية لغيره

وكان رضى الله عنه يحث أتباعه على مداومة الذكر وتعوّد اللسان عليه حتى يصل إلى القلب . ومتى وصل الذكر إلى القلب تعلقت الروح به وتلذذت به فتتغذى منه وأيضاً فإن استغراق الوقت في الذكر يوجب تنزل الرحمات ويوجب التعرض للنفحات الرحمانية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنّ لِلّهِ فى دَهرِكم نَفحاتٍ فتعرضُوا لَها) وفى خبر آخر تعرضوا لنفحات رحمة الله

وتمسك رضى الله عنه فى الذكر دون الأوراد وغيرها لما ورد في كتاب الله تعالى من الأوامر المؤكدة

بالذكر وعدم الغفلة وما ورد فى أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل العبادات حتى من الجهاد . وأيضاً فأن الاوراد أدعية واستغاثات بخلاف الذكر فإنه ذكر محض واقرار له بالوحدانية . وقد ورد فى حديث قدسى عن الله تعالى (مَنْ شَغَلَهُ ذِكرى عَنْ مَسأَلتِى أعطَيتُهُ أفْضلَ مَا أعطى السَّائِلِينَ)

وقد قال رضى الله عنه إن الذكر أفضل من كل الأوراد المنسوبة لكثير من الأولياء . وقال إنهم لم يصلوا إلا بالذكر وبعدوصولهم عملوا هذه الأوراد. فعلينا أن نسلك السبيل الذى وصلوا به وهو الذكر المحض لا أن نأخذ من فضلاتهم . وإليك بعض ماجاء فى فضل الذكر والأمر به في كتاب الله وسنته

آيات الأمر بالذكر

أمر الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين بذكره تعالى كما ورد فى القرآن الحكيم . قال تعالى لزكريا

(وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)
وقال لموسى (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا
فِي ذِكْرِي) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَاذْكُرْ
رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)
وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ
ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)
وقال تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)
وقال تعالى (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا
اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ)
وقال تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا)
وقال تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ
قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ)

وقال تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

وقال تعالى (واذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ)

وقال تعالى (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)

وقال تعالى (واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)

وقال تعالى (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)

وقال تعالى (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

وقال تعالى (فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ

ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)

في التحذير

وقال تعالى (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)

وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)

وقال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا)

وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

في الذاكرين

وقال تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا

أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله)

وقال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض)

وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)

وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

وقال تعالى (وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)

وقال تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)

وقال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق)

وقال تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً)

وأما الأحاديث النبوية فأليك بعض ماورد

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة . قال الذاكرون الله كثيراً قالوا يارسول الله ومن الغازى فى سبيل الله . قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة

وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل

وقال صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم

إلى سماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي فيقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأشد لك تسبيحاً . قال فيقول فما يسألون فيقولون يسألونك الجنة فيقول هل رأوها فيقولون لا يارب فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا عليها أشد حرصاً وأشد طلباً وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون فيقولون يتعوذون من النار فيقول هل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة . قال فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم . قال فيقول ملك منهم فيهم فلان عبد خطاء ليس منهم إنما مر لحاجة فجلس فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى جليسهم أخرجه الشيخان والترمذي

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير أعمالكم وأرفعها في

درجاتكم وازكاها عند مليككم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله . قال ذكر الله عز وجل . أخرجه مالك والترمذى

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرنى أو خافنى فى مقام) أخرجه الترمذى

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة من ولد اسماعيل ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة) أخرجه أبو داود

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر

اللهَ فيه كانتْ عليه منَ اللهِ تِرَةٌ وما مَشى أحدٌ مَمْشَى لا يَذْكُرُ اللهَ فيه إلا كانت عليه من اللهِ تِرَةٌ) أخرجه أبو داود والترمذى (والترة هى التبعة)

وعن أبى مسلم الأعز قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يقعدُ قومٌ يذكرونَ الله تعالى إلا حفتهم الملائكةُ وغشيتهمُ الرحمةُ ونزلت عليهمُ السكينةُ وذكرهم اللهُ فيمنْ عندَهُ) أخرجه مسلم والترمذى

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال (مَثلُ البيت الذى يُذكرُ اللهُ فيه والبيتُ الذى لا يذكرُ فيه مَثل الحىّ والميّت) أخرجه الشيخان

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى (أنا عندَ ظنّ عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأٍ ذكرته فى ملأٍ خير منه وإن تقرّبَ

إليّ شبراً تقربتُ منهُ ذراعاً وإن تقرّب إلى ذراعاً تقرّبتُ منه باعاً وإن أتاني يمشي أتيتهُ هرولة) أخرجه الشيخان والترمذي

وفي رواية أخرى ولا زال العبد يتقربُ إليّ بالنوافل حتى أحبه فأذا أحببتهُ كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطِش بها ورِجله التي يمشي بها

وعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حَلقةٍ من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للاسلام ومنّ به علينا قال آلله ما أجلسكم إلا ذلك قالوا آللهِ ما أجلسنا إلا ذلك قال أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت ياأبا هريرة أن لا يسألني

عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو نفسه رواه البخاري

وفيما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم (سَبَقَ المُفَرِّدُونَ قالوا وما المفرّدون يارسول الله قال الذّاكرُونَ اللهَ كثيراً)

وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لا أله إلا الله حِصني فمن دخل حصني أمِنَ عذابي . رواه ابن عساكر عن السيدة عائشة في الجامع الكبير

وقد ورد فيما رواه الامام أحمد وغيره أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون — أي حتى يقول المنافقون كما في رواية أو أهل الغفلة عن الذكر في مكثرة منكم هذا أو فلان مجنون أي كالمجنون المسلوب العقل لكثرة ولوعه وشغفه

وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده أنّ القرآنَ والذّكرَ لَينبُتانِ الايمانَ في القلب كما يُنبت الماء

الحشب رواه الديلمي

الصلاة على سيدنا محمد

أما الصلاة على حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أمرنا بها بالكيفية الآتية وهي

(اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) من غير حصر بل يكثر منها ماشاء الله دائما ويتأكد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بالصيغة الآتية عقب كل صلاة ثلاث مرات وهي

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا وعدد كل حرف ألفا ألفا وعدد صفوف الملائكة صفا صفا وعدد كل صف ألفا ألفا وعدد الرمال ذرة ذرة وعدد كل ذرة ألف ألف مرة عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك في برك وبحرك وسائر خلقك عدد

ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم مثل ذلك

فضائل الصلاة على سيدنا محمد

وفضائل الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً لا تدخل تحت حصر فقد أمرنا الله جلّ شأنه بها رحمة بالمؤمنين فقال سبحانه وتعالى تعليماً للأمة المحمدية (إنّ اللهَ وملائكتهُ يُصلون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وصلاة الله سبحانه وتعالى ايصاله رحمته بمزيد التعظيم والتكريم كما يليق به من إعلاء شأنه ورفع ذكره وإظهار دينه بباهر آياته وإبقاء شريعته وانزال تحف النعيم عليه وتخصيصه بالمقام المحمود واجزال مثوبته وترقيته في الأنوار والمعارف والأسرار وتشريف أمته على سائر الأمم

وأى رحمة أكبر من رحمته تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم وحفظه له ولطفه به فى الدنيا والآخرة قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

وأما الصلاة من الملائكة وغيرهم عليه صلى الله عليه وسلم فهو من قبيل الدعاء ومعناه (اللهم اعطف على سيدنا محمد عطفك الذى يليق بمقامه منك إليه كما هو أهله)

والأمر هنا للمؤمنين بالصلاة على سيدنا محمد لينالوا الثواب لأنهم محتاجون إلى تكفير السيئات ورفع الدرجات وهو صلى الله عليه وسلم واسطتهم العظمى فى كل خير فتيامنا بشكره ومكافأة له ينبغى الدعاء له اقتداء بالله سبحانه وتعالى وملائكته وإلا فالله تعالى أغنى الأغنياء ومنه مفاض العطاء. والنبى صلى الله عليه وسلم مستغن بصلاة ربه والملائكة عن صلاة غيرهم فتكون نية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم محبة فيه وشوقا إليه ولأنه يجب علينا شكره وإظهار شرفه وتعظيمه بأى طريق فهو أهل لذلك

على أن المصلى عليه لابد أن ينال ثواباً عظيماً فقد أخرج أنس رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر مرات . وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات) أخرجه النسائى

وله فى رواية أخرى عن أبى طلحة رضى الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والبشر فى وجهه قلنا إنا نرى البشر فى وجهك فقال إنه أتانى الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك أن لا يصلى عليك أحد إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً

وعن أبى مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة أخرجه الترمذى . وله عن علىّ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علىّ)

وعن أبي مسعود رضي الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغون أمتي السلام . أخرجه النسائي

وفوق ذلك فأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تجلي القلوب وتزيدها نوراً حتى قيل إنها تغني عن الشيخ في الطريق . لكن قال بعض الصوفية ذلك محمول على مجرد التنوير . وأما الترقي في درجات الولاية فلا بد من الأخذ عن شيخ عارف سلك مسالك القوم

صيغة الاستغفار

وأما الاستغفار فهو بأي صيغة كانت وإني استغفرت بهذه الصيغة وقرأتها عليه وهي (أستغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة والنجاة من النار انه هو التواب الرحيم)

وسمعنا منه هذه الصيغة الآتية ثلاث مرات بعد

الصلاة وهي (أستغفر الله العظيم عدد حروف القرآن حرفاً حرفاً وعدد كل حرف الفاً الفاً وعدد صفوف الملائكة صفاً صفاً وعدد كل صف الفاً الفاً وعدد الرمال ذرّة ذرّة وعدد كل ذرة الف الف مرة عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك في برك وبحرك وسائر خلقك عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه مثل ذلك

وفضل الاستغفار كثير جداً وقد أمرنا به بما ورد في القرآن قال تعالى (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)

وقال تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ)

وقال تعالى (وَما كانَ اللهُ مُعذِّبَهم وهم يَستغفرُون)

وقال تعالى (وَمن يَعمل سُوءًا أو يَظلِم نَفسَه ثم يَستغفر اللهَ يَجدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا)

وقال صلى الله عليه وسلم مَنْ قال حِينَ يَأوِى إلى فِراشِهِ أستغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحيّ القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه ولو كانت مِثلَ زَبدِ البحرِ . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يَستغفر رَبّه كلّ يومٍ مائةَ مرّة

وعن أبى ذرّ رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (يَقولُ اللهُ عزّ وجلّ يا ابنَ آدمَ كُلُّكم مُذنِبٌ إلا مَن عافَيت فاستغفرُونى أغفِرْ لكم وكلُّكم فقيرٌ إلا مَن أغنيْت فاسألونى أعطِكم وكلُّكم ضالٌّ إلا مَن هَدَيتُه فسلُونى الهُدَى أهدِكم وَمَن استغفرنى وهو يعلمُ أنّى ذُو قُدرَةٍ على أنْ أغفِرَ له غفرتُ له ولا أُبالِى ولو أنّ أوّلَكم وآخرَكم وحيّكم وميّتكم ورطبكم ويابِسكم

اجتمعوا على أشقى قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من سلطانى مثل جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد فى سلطانى مثل جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم سألونى حتى تنتهى مسألة كل واحد منهم فأعطيت كل مسألته ما نقص ذلك مما عندى كمغرز إبرة لو غمسها أحدكم فى البحر وذلك أنى جواد ماجد . عطائى كلام وعذابى كلام . إنما أمرى بشئ إذا أردته أن أقول له كن فيكون رواه مسلم

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم . رواه مسلم

وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

هذا والمراد بالذكر هنا الذكر مع العلم وإقبال القلب وتفرغه عما سواه تعالى لاسيما الأدناس والمعاصي وأما مالا يتجاوز اللسان فرتبة أخرى لأن الفضائل الواردة في الذكر إنما هي لأهل الشرف والكمال في الدين والطهارة من الحرام فلا يظن ظان أن من أدمن على الذكر وأصر على ماشاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أن يلحق بالمطهرين الأقدسين ويبلغ منازل الكاملين بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح فالعبرة بالإخلاص ومعاملة الحق بالقلب معاملة صادقة

كيفية الذكر

أما كيفية الذكر فكان يأمرنا رضى الله عنه أن نذكر الله تعالى على أى حال فى السفر والحضر والاجتماع والانفراد على وضوء أو غير وضوء فلا تتقيد بحالة نذكر عليها حتى لا نكسل وإنما الأكمل أن يكون على طهارة فتقدورد (الوضوء سلاح المؤمن)

وأن يكون ذكره سراً بينه وبين ربه وأقل الذكر أن يسمع نفسه وأكثره دون الجهر قال تعالى (واذكر ربك فى نفسك (١) تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين)

وذكر الاسم يكون بسكون آخره فلا ينونه لأن التنوين نون ساكنة تلحق الآخر لفظاً وتفارقه خطاً ووقفاً . وتكرار الاسم مع هذه النون تغير لفظه ولا بد من العدد ولا عبرة بمن قال أحد العدد بالوقت فلا أعد

---

(١) يؤخذ من هذا أن يكون الذكر فى نفس الانسان بينه وبين الله تعالى بالقلب مع الانفاس

فان هذا من دواعي الكسل والغفلة . وقد قيل لبعض الأميين من إخواننا أتُمِدُّ على الله فقال إنما أعد على نفسي لأحاسبها على التقصير

مجالس الذكر وكيفيتها

أما مجالس الذكر التي تقام بين يديه وفي الحضرات فكانت تفتتح بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكنا نقرأ دلائل الخيرات وبردة الامام البوصيري وكان يُقرئنا عليهما والتوسل الذي في دلائل الخيرات وكان يسكت عنه وكنا نذكر مجتمعين صفوفا معتدلة يذكر بنا أحد الاخوان ليكون إماما للجماعة فتلاحظ حركاته فيكون الكل على حركة واحدة بلفظ واحد وصوت واحد في آن واحد ونفس واحد وروح واحدة والكل مسبل عينيه ليكون أدعى الى استحضار معنى الذكر بقلبه فتكون الجماعة مجتمعة قلوبهم على قلب رجل واحد خاشعين لله

ملاحظين المذكور ولا تزال على ذلك إلى ماشاء الله تعالى ان شاء الله . وكان يبيح التمايل يميناً وشمالاً (١) لأنه يوقظ قلب الذاكر ويبعد الكسل ويزيد فى النشاط وكان يحذر من اخراج التمايل عن حده المباح وكان يكره المجلس الذى يرى خروج التمايل فيه الى التكسر والرقص واللحن فى الأسماء ويغضب لذلك ويقول انه حرام قطعاً (٢) بل ربما دخل على من يفعل ذلك من غير أتباعه وأبطلهم

---

(١) أورد الاستاذ القطب سيدى عمر بن جعفر الشبراوى فى شرحه على ورد سحر ردا على من أنكر على القوم فى التمايل الذين قالوا لم يرد بهذا نص وقالوا إنما ورد الحث على ذكر الله من غير تمايل . قال إن الحافظ أبى نعيم روى عن الفضل بن عياض قال أنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يميناً وشمالا كما تمايل الشجرة فى الريح العاصف الى قدام ثم ترجع الى وراء

وقد أورد الاستاذ الشهاب الحلوانى فى كتاب التبذه السنية فى طريق الخلوتية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن كخامة الزرع تفيؤها الريح مرة هنا ومرة هنا رواه البخارى

(٢) من غلب عليه الحال والجذب وخرج عن حالة الجماعة

الذكر إن لم يذكروا ذكراً يوافق الشرع

والتمايل مع حركة الركوع إظهار للخشوع كالركوع في الصلاة والاعتدال منه متكرراً فاذا كان على القدم كان مع الاهتزاز وإيماءُ الرأس تذللاً فكان يبتدئ بالذكر جلوساً برهة ثم يقومون فيذكرون الله قياماً وكان يبتدئ بذكر لا اله إلا الله من جهة اليمين لأن النفس الأمارة فيها والقلب في جهة اليسار وهو محل الأنوار والأسرار فيجعل اسم الذات عليه ليتلقى أنواره وأسراره وأن يمد ألِفَ (لا) متوسطاً أقله حركتان ويحقق الهمزة من (إله) فلا يجعلها ياءً ويفتح الهاء منه فتحة خفيفة بلا مدّ

لا لوم عليه لكن من رأى في نفسه سروراً ونشاطاً حال الذكر غير العادة وهو في حالة الصحو عن حركة الجماعة وهاج وقد ظن في نفسه أن هذا حال فانه يقع في المهالك ويكتنفه الحجب وتمقته الملائكة ويذهب نوره . وقد نقل عن بعض العارفين أنه رأى بعض المريدين وهو في حالة سروره وهيجانه فقال له أنت في الحضرة أو خارج عنها فان كنت خارجها فما حصلت على شيء وان كنت داخلها فأين الادب فقال له أتوب وتاب اه

ويمد الف (الله) التى قبل الهاء مداً طبيعياً ولا يحذفها خلافاً لمن جوزه . وقد كان رضى الله عنه يؤكد بعدم حذف هذه الالف وفى الحقيقة انها لم تسمع فى قراءة القرآن مطلقاً ولا يحذف الهاء منه كما يقع من بعض جهال الذاكرين ويقف عليها بالسكون فإن ذكر الاسم (الله) حقق الهمزة وسكن هاءه حتى لا يكون قد نطق (هلا هلا) وهو حرام وكذا يحقق حروف كل اسم ويسكن آخره

قال بعض الصوفية ينبغى تقدير ياء النداء عند ذكر الاسم لكن الأولى عدم التقدير لأن تقدير يا النداء تجعل الذكر استغاثة والمقصود أن يكون الذكر ذكراً محضاً خالصاً لوجه الكريم . قال تعالى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) فالذكر هو تلاوة الاسم كما ذكره ابن عباس وتذكير القلب به والتفكر فى معانى الأسماء . ولذا كان سكون الاسم فى كل مرة مع التكرار دليلا على ذكر الاسم مفرداً (وفى هذا معنى إفراده سبحانه وتعالى بالقلب

وسكونه إليه) ولو كان الذكر جملة كما يقول بعضهم فيكون الاسم مبتدأ والمعنى خبره أو يكون الاسم المنطوق به خبر المبتدإ تقديره فى القلب الله كما تقول (الله حى) أو (الله قيوم) فيكون المقدّر فى القلب الله وأما فى اسم الذات العلية يكون المبتدا مقدراً بالقلب اسم الذات والمذكور (الله) لكن الاعتبار بأن الذكر إنما هو ذكر الاسم ذكراً محضا من غير جملة أولى قال تعالى (واذْكر اسمَ ربّك) وقال تعالى (سبّح اسمَ ربّك) وقال تعالى (وذكرَ اسمَ ربّهِ فصلّى)فالمراد من الذكر أن يكون (الله) هو شغل القلب (١)

هذا وكانت الصفوف تكون كصفوف الصلاة ومن سره رضى الله عنه أن الذكر كان على هذا الاجتماع مع

---

(١) قال بعض الصوفية أقام رجل على السطح يقرأ الاوراد بالليل فبينما هو كذلك واذا بطائر قد نزل عليه فتأمله فوجده رجل من أهل الله فقال له بما نلت هذه المرتبة فقال بذكر الله تعالى نحن أهل لا إله إلا الله نقولها بعزم وإخلاص وما أنتم يا أهل الاوراد الا كمن يطلب ابنة الملك وليس أهلا لها

ملاحظة الذكور يورث الأنس الروحي الذاكرين فيستمرون هائمين لا يريدون أن يقطعوا الذكر. وكان الذاكر بهم إذا رآهم سقوا من الاسم الأول نقلهم إلى حركة ثانية في اسم ثان ليذوقوا شرابه ولأجل أن تهدأ حركتهم فينشطون في الثاني وهكذا حتى يختم بهم المجلس وهم في حالة لا يعلون منها ولا يتعبون ترى عليهم جلال الذكر وجمال العبادة نورهم بين أيديهم ثم يختمون بالدعاء والفاتحة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت تراهم عند ما يجلسون يشتغلون بالذكر على المسبحة (١) لشدة تعلقهم بالذكر وحبهم في الاستمرار عليه فتراهم خاشعين يذكرون

وأذكر أن بعض الناس من ذوي الوجاهة أراد أن ينظر تلاميذ سيدي الأستاذ في مجالسهم فدخل عليهم وهم جالسون يذكرون على المسبحة لا يلوون على أحد فأخذته

---

(١) قد قال أهل الطريق ينبغي إذا جلس القوم بعد أداء مجلس الذكر أن يشتغلوا بالذكر القلبي او على المسبحة ولا يذهبون نور الذكر بكثرة الكلام واللغط فأن هذا ممقوت ويحبط العمل

الرهبة وخافهم ولم يطق الصبر على مجالستهم وخرج خائفاً يقول ماخوفني ولا أرهبني أكثر من هذا المجلس وهذا كله من سطوة الذكر ونوره

وكان رضى الله عنه يبيح الانشاد على مجالس الذكر بشرط أن لايكون للتغني ولا للطرب وإنما يكون على حركة الذاكرين وقلبُ المنشد معلقٌ بالذكر وكلامه لايخرج عن التوحيد ومدح النبيّ صلى الله عليه وسلم أو النصائح وكان النشيد في حضرته إلهاماً وفي غير ذلك اما الهاماً أومن كلام أهل التصوف بما يناسب المقام

اسرار الذكر ومقامات السالكين

من أسرار الذكر أن الذاكرين يتدرّجون في مقامات السلوك والأدب فتراهم يجاهدن نفوسهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر يارسول الله قال جهاد النفس) فتراهم متى مار العبد في طريق العمل

لله وأخلص نيته يجاهد نفسه الأمارة بالسوء فتؤامره ويراجعها حتى يرحمها الله سبحانه وتعالى بالهداية قال تعالى (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) فإذا اهتدت أصبحت لوامة تلوم نفسها على ما مضى وتثوب إلى رشدها تطلب الغفران من الذنوب وتبوء الى الله تعالى بنعمة الأسلام والأيمان فيرى الذاكر في نفسه أنه كثير الذنوب فيندم ويتذلل إلى الله تعالى ويطلب العفو . وفي هذا الحال يدفع خواطر السوء بتأنيب النفس ويذكرها بالذنب فتصفو له الحال قال تعالى (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)وفي هذا مايدل على أن النفس اللوامة لها منزلة عند الله عظيمة ومتى صدق العزم وأصبحت النفس روحاً طيبة ألهمها الله تعالى طريق الخير وطريق الشر فتعرف التقوى من الفجور فتقوى على العبادة وتبتعد عن المعصية قال تعالى (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) فتعرف الحق من الباطل بطريق الالهام الذي يدفعه الله تعالى في القلب ليستنير بالمعرفة الالهية (وَمَنْ

لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لهُ نُوراً فما له مِنْ نُورٍ) فاذا خشى الله تعالى وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اطمأن اليه (١) ووقف بين يديه خائفاً راجياً يناجيه بباطنه وظاهره يفكر فيما هو صائر اليه فيرضى برضائه ويرجع اليه في كل أموره فهديه الى السبيل المستقيم قال تعالى (والذين جَاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) ومتى أناب اليه وأخلص في الرجعى كان له خيرُ الدنيا والآخرة . قال تعالى (يَاأَيَّتُهَا النَّفسُ المُطْمئِنَّةُ ارْجِعِي إلى رَبِّكِ) أي في كل الأحوال واعتمدي عليه وتوكلي عليه وسلمي له الأمر (إنَّ إلى رَبِّكَ الرُّجعَى) فاذا رجعت له في الدنيا فترجع راضية به شديدة الطلب اليه لا تعرف سواه ولا تخشى إلا إياه إذا ذُكِّرَ خشعت . واذا تجلى عليها انتعشت . فهي في القبر والبسط لا ترجو الا هو فيرضيها برضائه عنها فتعود (مرضية) برحمته وبمحض فضله فتدخل في عبادة القائمين على ذكره وترجع في الأخرى مع الذين أنعم الله عليهم من

---

(١) وفي الحديث — البر ما اطمأنت إليه النفس اه الاربعين النووية

النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا

ومن افاضات الذكر أنك ترى المداوم عليه منهم يبعث الله فى قلبه محبته تعالى فيُشْغَلُ به . قال تعالى (يُحِبُّهم وَيُحِبُّونَهُ) . ومقام المحبة عظيم جداً قيل انه هو المحور الذى يدور عليه القلب فى المقامات الأخرى لأن الحب لا ينبغى أن يكون لأحد سوى الله تعالى فأنه أوجد العبد من العدم وهو الذى قوّمه وجعله عبداً من عبيده فأوجد له عقلا يميز به وجعل له أجلا يعيش به وهو المالك له فلا ينبغى أن يحب سواه (١)

والحب تعلق القلب بالمحبوب فيشغله حتى لا يرى غيره وله لذة عند أهله والعبد متى صدق وأخلص فى محبته

---

(١) وهذا لا ينافى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فان حبه صلى الله عليه وسلم موصل لحب الله كما أن حب الصحابة وغيرهم من التابعين والداعين الى الله موصل الى حب النبى صلى الله عليه وسلم

عرف الاغيار فابتعد عنها ولازم ربه وزهد في الدنيا وما فيها ومن فيها ورغب عنها بقلبه . قالت رابعة العدوية .. محب الله لا يسكن أنينه وحنينه حتي يسكن مع محبوبه والغرض أن يكون حب الله في قلبه وفي جميع جوارحه فلا يرى غيره . وفى الحديث القدسى (لا تَسَعنِى السَّمواتُ وَالأَرضُ وَلَكنْ يَسعنِى قَلبُ عَبدِى المؤمِن)

والحب يورث معاملة المحب للمحبوب بما يريده فلا يفعل مايغضبه وربما أصبح المحب محبوبا فصلح له الحال ويعرف كيف يكون الكمال فى معاملة ذى الجلال سبحان من تنزه عن الكليات والجزئيات وهو العليم بالجزئيات والكليات

ومن بركة الذكر أنه يورث (الاخلاص) وهو الأساس فى معاملة الله فمن عامل الله وأخلص نيته لله فاز بخير الدنيا والآخرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما الاعمالُ بالنيات وإنما لِكلّ امرئٍ مانوَى فمنْ كانتْ هِجرَتُهُ إلى اللهِ ورسُولِهِ فهِجرَتُهُ إلى اللهِ

وَرَسُولِهِ) وقال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) وقال تعالى (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) وقال تعالى (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ)

وقد ذكر الإمام الغزالي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال (ظنّ أبي أن له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم (إنّما نَصرَ اللهُ عزّ وجلّ هذهِ الأمة بضعفاء دَعوتِهم وإخلاصِهم وصلاتِهم) — وأورد أيضاً عن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول اللهُ تعالى الإخلاصُ سرٌّ من سرّي استودعته قلب من أحببتُ من عبادي) وأورد أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (مامن عبد مخلص لله العمل أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)

والإخلاص لابد أن يكون القصد منه التجريد للقرب من الله تعالى خلياً من الشوائب والعبد متى أخلص

لله تعالى أخلص للناس لأنه يراقب ربه فى إخلاصه

والمخلص الذي تخلص من الأغيار وعامل الملك القهار كافأه الله تعالى ما بينه وبين الناس فإن تخليص النيات أشد من جميع الأعمال وتقتضى جهاداً وتوبةً نصوحا

ومن هدايات الذكر أنه يورث مقام (المراقبة) وهى مراقبة التعظيم والجلال لذى العزة والكمال فيصير القلب مستغرقاً بملاحظته منكسراً تحت هيبته تعالى فلا يجعل فيه متسعاً للالتفات إلى الغير فإذا استقامت الجوارح فى المراقبة كانت جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف فاذا تحركت بالطاعات فلا تحتاج الى تدبير وينفطر القلب على العمل لله تعالى على وجه الأخلاص فيظهر عمل العبد عليه من غير أن يريد هو إظهاره بل يكون ممن قال بعض الصالحين رضى الله عنهم. عليك بصحبة من تُذكّرك الله رؤيته وتقع فى قلبك هيبته يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله ثم ليراقب أن الله تعالى يرقبه وأنه رقيب عليه فوق مراقبة الحافظين الكاتبين قال تعالى (قُلْ إِنْ تُخْفُوا

مافى صُدُوركمْ أوْ تُبدُوهُ يعلَمْهُ اللهُ) وقال تعالى (يَعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفِى الصُّدُور) وكان بعض الصالحين يقول الناس ترَى الشيءَ ثم ترى الله سبحانه وتعالى . ومنهم من يرى الله سبحانه عند مايرى الشيءَ وأنا أرى اللهَ قبل أن أرى الشيءَ

ومن أسرار الذكر أنه يورث مقام (الخشوع) والخشوع ثمرةُ الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عزّ وجلّ فى القلب فيلاحظ المذكور كأنه واقف بين يديه فمن رُزقَ ذلك راقب ربّه ودامت عليه اللذات وأصبح خاشعاً فى الذكر وفى الصلاة بل وفى خلوته لائن من موجب الخشوع معرفة العبد أن الله مطلع عليه وأنه أحاط بكل شئ علماً فيعرف بأنه مهيمن عليه ورقيب عليه فى كل أحواله فيتذكره ويخشع قال تعالى (ألم يأنِ للذين آمنوا أنْ تخشَعَ قلوبهُم لِذكرِ اللهِ وما نَزَلَ مِن الحقّ) وقد رُوىَ عن بعضهم انه لم يرفع رأسه الى السماء أربعين عاماً حياء من الله تعالى وخشوعاً

والخشوع يوجب التفكر ويجلب الأسرار والأنوار بكثرة الذكر . والذكر أول ما يكون باللسان ثم بالجنان ثم بالسر وربك أعلم السر وأخفى وفى الحديث (أنا جليس من ذكرنى) ومن راقب ذلك فقد خشع

ومن فضل الذكر انه يورث (الحياء) من الله تعالى فيذوق الذاكر منه لذة الأيمان ويتخلق به والحياء هو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم (استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحى يارسول الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وماوعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء)

وكان سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كثير الحياء من الله سبحانه وتعالى حتى أنه كان إذا اغتسل يضع ثوبا على بدنه حياء من الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عنه (إنى لأستحى من رجل تستحى منه الملائكة

في السماء)

ومن سرّه أيضاً أنه يورث (الخوف والرجاء) . والخوف هو سبب في الوصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة . ولا يحصل الا بالمحبة والأنس به في الدنيا ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذّات الدنيا وشهواتها ولا ينقطع ذلك الا بنار الخوف من الله تعالى

فالخوف هو النّار المحرقة للشّهوات . قال تعالى (وَخافُونِ إن كُنتُم مُؤمِنين) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن خافَ اللهَ خافَه كلُّ شيءٍ ومن خافَ غيرَ اللهِ خوّفهُ اللهُ من كلِّ شيءٍ)

والخوف إما خوف الذنوب واستكثارها . والقنوط فيكون يأساً من رحمة الله وهذا منهي عنه ومحذر منه . وإما خوف مقام المولى سبحانه وتعالى رهبة من سطوته وخوفاً

من عظمته فيرى العبد نفسه أنه لا يصلح لقربه فيخاف الطرد ويقف ذليلاً تحت رحمته وعفوه وهذا مطلوب ومرغوب فيه قال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فى الحالة الأولى يلزم أن يغلب الرجاء على الخوف

والرجاء دواء يداوى به القلب فيرجعه إلى رحمة الله ولطفه اذا يئس من خوفه وقنط من رحمته قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) والتجارة هى الايمان بالله تعالى للنجاة من العذاب قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله)

ومن أسرار الذكر أيضا أنه يورث مقام (التقوى) فيذوق لذة الخشية من الله تعالى والتوقى من غضبه بترك ما نهى الله

عنه من الكبائر والتوقى أيضاً من الزلل فى مقامات السير اليه تعالى وحسن الأدب معه قال تعالى (واتقونِ ياأولى الألباب) وأولوا الألباب هم الذاكرون الله تعالى بلا شك بدليل قوله تعالى (إنّ فى خلقِ السّموات والأرض واختلافِ الليلِ والنّهارِ لآيات لِأولِى الألبابِ الّذين يذكرُونَ اللهَ قِياماً وقعوداً وعلى جنوبِهم ويتفكّرُون فى خلقِ السّموات والأرض)

والتقوى هي ثمرة الخوف والمراقبة والخشية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (التقوى هاهنا وكان يشير الى صدره الشريف . وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم)

والتقوى هي وضع النفس في مقامها من الله تعالى فيقف العبد ذليلاً يعلم انه عبد والله رب قادر قاهر مهيمن قيوم وفرق بين مقام العبد ومقام مولاه وخالقه

فيرى أن الله قادر على كل شئ والعبد هو العاجز عن كل شئ . يرى انه الضعيف والله هو القوى . يرى أن الله مالك كل شئ وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً . وقال تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) أى أخشاكم . وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) وقال تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله) وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)

ومن سر الذكر أيضاً أنه يورث مقام (الصبر) والصبر هو الثبات مع الله تعالى فى حبه وعبادته والوقوف مع البلاء بحسن الأدب مع الله تعالى وتحمل المشاق والأذى فى السير اليه تعالى وحيث كانت الدنيا مزرعة الآخرة وكان لابد للمقيم فيها من اتخاذ المدات التى تقيه فيها كالمدات التي تلزم المسافر . منها الأموال والأنفس

والصحة وغير ذلك . وكان من سنّة الله فى خلقه اعطاء المعدّات للعبد يوجدها ويمدها كيف أراد . فمن الواجب على العبد أن يرى أن الأخذ والعطاء من الله تعالى فيرضى به ويصبر وله البشرى فى الحياة وفى الآخرة قال تعالى (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)

وحيث كانت الهجرة إلى الله ورسوله وكان لابدّ للمهاجر من السير فى طريق يوصّله الى محل هجرته والسفر لابدّ أن يكون مصحوبا بمشقات وتعب . فالصبر على مشقات العبادة منزلة مطلوبة وهو العدّة لها . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ولقد سمعت شيخى رضى الله عنه يقول اصبروا فى صلاة الظهر ورابطوا فى صلاة العصر

واتقوا الله في صلاة المغرب لعلكم تفلحون بعد صلاة العشاء

ومن الصبر أيضاً الصبر على مجاهدة النفس وردّها عن هواها . والصبر على الدعوة في سبيل الله وتحمل الأذى فيها . والصبر على أحوال النفس في المقامات فيردّها في وقت الغضب إلى الحلم ويردّها عن الانتصار لها إلى مراقبة الله تعالى والتسليم له . قال تعالى (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك أو قال أمامك تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فإن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله تعالى لك لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله تعالى

عليك لم يقدروا على ذلك. جفّت الاقلام وطُويت الصحف فإن استطعت أن تعمل لله تعالى بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً) واعلم أن النصر مع الصبر. وأن الفرجَ مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين. أخرجه الترمذي

ومن سرّه أنه يورث مقام (الزهد) والزهد هو ترك حظوظ النفس كلها الى ماهو خير منها فمن ترك الدنيا ورغب في نعيم الآخرة فهو زاهد. وأهل الكمال يرون أن الزاهد في كل ماسوى الله تعالى حتى الجنان ولا يحب إلا الله تعالى هو الزاهد المطلق. ولا يظن أن ترك المال والولد وإظهار الخشونة زهدٌ خصوصاً من أحب المدح بالزهد بل الغرض بالزهد ألاّ يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود فربما أن الزاهد يكون لديه المال كله وفي خير من نِعم الله ولكنه بعيد عنها لا حظّ لنفسه في شيء منها فطرة يُفطرُ عليها يغرسها في قلبه حبُّ الله تعالى فيستوى عنده المدح والذم والقليل والكثير ويكونُ أُنسُه بالله خير له

من الجنة ونهيها فكيف بالدنيا وما فيها وقد قال الله تعالى (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد) . وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب)

وفي حديث سيدنا عمر رضى الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) . قال صلى الله عليه وسلم (تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم) فقلنا يارسول الله نهانا الله عن كنز الذهب فأى شيء ندخر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته

وعن أبي ذرّ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليست الزّهادةُ في الدّنيا بتحريم الحلال ولا إضاعةِ المالِ ولكنْ الزّهادةُ أن تكونَ بما في يدِ اللهِ تعالى أوثقَ منك بما في يدكَ وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أُصبتَ بها أرغبَ منك فيها لو أنها بقيت لك) أخرجه الترمذى

فالذّكر يورث حب الله تعالى للعبد والحب يورث الزُّهد في الدنيا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ازهدْ في الدُّنيا يُحبّكَ اللهَ وازهد فيما في أيدي الناسِ يُحبّكَ الناس)

ومن سرّ أنه يورث مقام التوكل وهو تسليم الأمور الى الله تعالى والاعتماد عليه في كل الأحوال ومعرفته أنه هو المؤثر في كل شئ وهو المدبّر لكل شئ فلا تدبير سوى تدبيره تعالى ولا معطي سواه

وهذا لا يوجب ترك الأمور وعدم اتخاذ الأسباب بل إن اتخاذ الأسباب مع التوكل من الأمور المطلوبة

شرعاً فلا يصح أن يكون أمامك الأكل وأنت فى شدة الجوع ولا تمد يدك لتأكل وتقول أنا متوكل ومنتظر من يأتى فيدخل الأكل فى جوفي مسوى بل من الضروريات أن تمد يدك لتأكل وهذا لا يمنع التوكل والاعتماد على الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال) فانظروا إلى أنه قال تغدو وتروح أى أنها تأخذ الأسباب بالغدو والرواح والله هو المعطى

ومن نظر إلى الكفيل سبحانه وتعالى حين اتخاذه الأسباب وإلى قدرته وحفظه كان متوكلاً . قال تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال تعالى (إن الله يحب المتوكلين) . وسمعت من شيخى رضى الله عنه يقول لو بلغ العبد مقام حسن التوكل وضرب بالسيف ما جاز فيه

ومن سره أيضاً أنه يورث مقام (الشكر) والشكر هو استعمال نعم الله تعالى في طاعته والجوارح فيما خلقت لأجله والنظر في إدراك حكمة الله في خلقه فيعلم أنه تحت الحكمة ماهو مراد الله منه كالعلم بأن العين للأبصار واليد للبطش والرجل للمشي والأذن للسمع واللسان للكلام والقلب للعلم والاعتقاد فيستعملها فيما خلقت لأجله من طاعة الله وما يباح شرعاً فلا يجعلها للاضرار لنفسه أو للناس لأن من علم حكمة الله في خلقه قام بشكره قال تعالى (وسنجزي الشاكرين) وقال تعالى (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)

ومن الشكر أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها قال تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) والشكر يكون على النعمة والنعمة توجب الفرح والفرح يوجب شكر المنعم والنعم كلها من الله تعالى والشكر لا يكون إلا لله قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم).

والشكر يكون بالقلب وباللسان فبالقلب دون اللسان اخلاص النية لله والصدق فى معاملته . وباللسان مع القلب الحمد والثناء عليه وتمجيده تعالى بما يدل عليه وعلى عظيم قدرته تعالى وعطائه سبحانك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وهكذا يتدرّج من مقام الى مقام حتى يفنى فى حب الله تعالى ويعرف كيف يخشاه وهذه هى المقامات التي يطلبها أهل العرفان فلا يطلبون سواها فى الدنيا ليفوزوا بها في الآخرة . ومن صدقت نيته مع الله تعالى وتفكر فى مصنوعاته وسلك سبيل الصواب أورثه الله هذه المقامات فتكون فطرة فيه لا يتكلفها ويصير من أولى الألباب ويكون قلبه مصقولا مستعداً للتجليات الآلهية والنفحات الرحمانية متعرّضاً لها كما ورد في الحديث (إن لله فى دهركم نفحات فتعرضوا لها) وفى حديث آخر (تعرّضوا لنفحات رحمة الله)

قال بعض الصوفية التقلب فى أطوار المقامات لعموم المحبين الذين أنابوا إلى الله وجاهدوا فيه فهداهم السبيل

وطوى بساط الأطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون الذين اجتباهم ربهم فلا تقيدهم المقامات ولا تحبسهم لأن بواطنهم صافية لاتحتاج الى مايصفيها قال تعالى (اللهُ يجتبي من رُسلهِ مَن يَشاء ويهدِي اليه مَن يُنيب ؟

تنبيه

ظن قوم أن التصوف هو معرفة الآداب ودراسة الكتب فأضاعوا أعمارهم فى البحث وعبارات أهل التصوف وقلوبهم خالية من كل أدب حقيقى فيُبعدوا عن الله تعالى وهم يحسبون أنهم على شئ ومثلهم مثل العالم الذى لايعمل بعلمه . ولذا كان ينهانا شيخنا رضي الله عنه عن القراءة فى الكتب وهو يقول من اجتهد في عبادة الله نوّر الله بصيرته وعرف مافى الكتب . ولذا كنا نرى الاخوان أميين وعالمهم على جانب عظيم من الآداب العالية ومعاملة الله حق المعاملة وترى العالم يتصاغر لما يرى فى نفسه من القصور

عن مجاراة عامة الأخوان فى آدابهم واخلاصهم وعبادتهم وذكرهم مع الأدب والتواضع والبعد عن العجب والرياء .

ولقد نرى الحكم العالية تصدر من أفواه عوام الاخوان وهم لايتعمّدون الوقوف موقف المرشد ويرون أن هذه الحكم من الأمور العادية التي ليست غريبة منهم

هذه المقامات والآداب المتقدمة تتولد فى نفس الأنسان من نفس معاملة الخالق معاملة قلبية يورثها الله سبحانه وتعالى للعبد بسرّ الذكر والمكوف على العبادة وهى المقصودة من علم التصوف

(قال ابن خلدون فى مقدّمته عند التكلم على علم التصوف ما ملخصه)

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من من الصحابه والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأجلها العكوف على العبادة والانقطاع الي الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه

الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً فى الصحابة والسلف . فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة . فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بما خذ مدركة لهم وذلك أن الانسان بما هو إنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك وإدراكه نوعان . إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم . وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضى والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف فى البدن تنشأ من ادراكات وارادات وأحوال وهي التى يمتاز بها الانسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة . والفرح والحزن عن ادراك المؤلم أو الملتذ به . والنشاط من الحمام . والكسل عن الاعياء . وكذلك المريد فى مجاهدته وعبادته لابد أن ينشأ له عن كل

مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة. وتلك الحال إما أن تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاماً للمريد. وإما أن لا تكون عبادة وانما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات. ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام الى أن ينتهى الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخلَ الجنةَ)

فالمريد لابدّ له من الترقى فى هذه الأطوار وأصلها كلها الطاعة والإخلاص ويتقدّمُها الايمان ويصاحبها وتنشأ عنها الأحوال. والصفات نتائج وثمرات ثم تنشأ منها أخرى وأخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير فى النتيجة أو خلل فتعلم أنه انما أتى من قِبَل التقصير فى الذى قبله. وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية. فلهذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر فى حقائقها لأن حصول النتائج عن الأعمال

ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لأن الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع فانهم يأتون بالطاعات مخلصة من الفقه في الاجزاء والامتثال وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ليعلموا أنها خالصة من التقصير أولا. فظهر أن طريقهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والمتروك والكلام في هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم يستقر المريد فيها مقاماً ويترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم إذ الأوضاع اللغوية انما هي للمعاني المتعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلحنا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه. فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي

الأحكام العامة فى العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم فى القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام فى الأذواق والمواجد المعارضة فى طريقها وكيفية الترقى منها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم فى ذلك . فلما كتبت العلوم ودوّنت وألفت الفقهاء فى الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة فى طريقهم . فمنهم من كتب فى الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الأخذ والترك كما فعله (القشيرى) فى كتاب الرسالة والسهروردى فى كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع (الغزالى) رحمه الله بين الأمرين فى كتاب الأحياء فدوّن فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم فى عباراتهم وصار علم التصوف فى الملة علما مدوّنا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها انما تتلقى من صدور الرجال كما وقع فى سائر العلوم التى دوّنت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول

وغير ذلك ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها والروح من تلك العوالم . وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعف أحوال الحس وقويت أحوال الروح واشتد سلطانه وتجدد نشوه وأعان على ذلك الذكر فأنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو ويزيد إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الالهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الأفق الأعلى أفق الملائكة وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود مالا يدرك سواهم وكذلك يُدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع إرادتهم فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا

الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شئ لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما وقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه إذا هاجمتهم . وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية

وفى فضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ومن تبع طريقتهم من بعدهم ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم الا اذا كان ناشئاً عن الاستقامة لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وان لم يكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومثاله أن المرآة الصقيلة اذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذى بها جهة المرئى فإنه يتشكل فيه معوجا على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها المرئى صحيحاً . فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما ينطبع فيها من الاحوال

ولما عنى المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجدهم في ذلك وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق رداً وقبولا اذ هي من قبيل الوجدانيات ثم إن كثيراً من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للردّ على هؤلاء وشملوا بالنكير سائر ما وقع لهم في الطريقة والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل فإن كلامهم في أربعة مواضع . أحدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال لتحصل تلك الأذواق التي تصير مقاماً ويترقى منه الى غيره كما قلناه . وثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة في علم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوّة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتركيب الأكوان في صدورها عن موجدها

وتكوّنها كما مر . وثالثها التصرفات فى العوالم والأكوان بأنواع الكرامات . ورابعها ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها فى اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فمنكر ومحسن ومتأول .

فأما الكلام فى المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأذواق والمواجد فى نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير فى أسبابها فأمر لا مدفع فيه لأحد وأذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة

وأما الكلام فى كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم فى الكائنات فأمر صحيح غير منكر وأن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الأستاذ الاسفرايني من أئمة الأشعرية على انكارها لالتباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدى وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ماجاء به قالوا ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية فإن صفة نفسها

التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدّلت صفة نفسها وهو محال هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وإنكارها نوع مكابرة . وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك وهو معلوم مشهور

وأما الكلام في الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما إنه وجدانيّ عندهم وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه لأنها لم توضع إلا للمتعارف وأكثره من المحسوسات فينبغي أن لا تتعرّض لكلامهم في ذلك وتتركه في ما تركناه من المتشابه ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها سعادة . وأما الألفاظ المبهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع فاعلم أن الأنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور

معذور فمن عُلم منهم فضله واقتداؤه حُمل على القصد الجميل من هذا ولعل العبارة عن الواجد مسعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لأبي يزيد وأمثاله ومن لم يُعلم فضله ولا اشتهر فؤاخذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه . وأما من تكلم بشطا وهو حاضر في جنسه ولم يملكه الحال فؤاخذ أيضاً . ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج لأنه تكلم في حضور وهو مالك لحاله والله أعلم

وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة الذين أشرنا إليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الأدراك إنما همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه ولم يحفل به بل يفرّ منه ويرون أنه من العوائق والمحن وأنه إدراك من إدراكات النفس مخلوق حادث وأن الموجودات لا تنحصر في مدارك الانسان وعلم الله أوسع وخلقه أكبر . وشريعته للهداية أملك . فلا ينطقون بشيء

عما يدركون بل حظروا الخوض فى ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا فى عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والاقتداء ويأمرون أصحابهم بالتزامها وهكذا ينبغى أن يكون حال المريد والله الموفق للصواب اهـ

الأحوال

وإذا سلك العبد مسلك الصالحين. وتدرّج فى مقامات السالكين. وعامل الله معاملة اليقين. أصبح قلبه مستعداً للتجليات الإلهية والعطايا اللدنية. فقد قيل أن المقامات مكاسب والأحوال مواهب والمواهب مخوفة بالمكاسب. والمكاسب محفوفة بالمواهب. والأحوال مواهب علوية وسماوية والمقامات طرقها على أن المقامات والأحوال كلها مواهب. وإنما قال بعض الصوفية كل ما كان من طريق

الاخذ بالأسباب بعمل العبد فأنه كسب وما لاح من طريق المواجيد والأحوال فأنه وهب . وقد ذهب بعضهم إلى أن الأحوال لاتكون إلا إذا دامت فأما إذا لم تدم فهى لوامح . وطوالع . وبوادر وهى مقامات الأحوال وليست بأحوال فمن سلك حاله وثبت فى أحواله وراقب ربه أطلعه الله على مقامات نفسه ومقامات غيره فثبت فى الأحوال وأفنى نفسه في الله واتخذ الفناء مع العجز عن الأدراك حالا له ثبت فيه وكان من أهل الكمال

وقد رأينا والحمد لله شيخنا رضى الله عنه جمع هذه الصفات وكان من أهل الثبات متقلباً في جميع المقامات حتى أصبح كاملاً فى نفسه كاملاً مع غيره كاملاً مع الله تعالى

ولا تتوقف الأحوال على المقامات ولكن ربما صحت المقامات بالأحوال لأن الحال يرقى إلي المقامات وإلى دوام تطلع العبد الى أكثر منها وعدم القناعة فى محبة الله تعالى وفى القرب منه والعلم به . قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم (اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك فأنا أرغب اليك وأسألك اياه)

ومواهب الحق لاتحصر وهي متصلة بكلمات الله التي ينفد البحر دون نفادها فهو المنعم المعطي وله الرعاية والولاية

والأحوال كثيرة نذكر منها طرفاً على سبيل الاستشهاد مما كنا نشاهده في أحوال بعض أتباع شيخنا ومريديه ونذكر أولا طرفاً من موارد النفس وتطوراتها وما ورد فيها على سبيل الايجاز مأخوذاً من الكتاب والسنة ومن كلام القوم فنقول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الذكر والقرآن ليُنبتان الايمان في القلب كما ينبت الماء العشب) رواه الديلمي

والأنبات يقتضي النمو والزرع لايسلم من الآفات

كما أن القلب لا يسلم من التقلبات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء)

وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه (اللهم يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك ياالله)

فالقلب مصدر للتقلبات والتطورات وله جملة أحوال

منها حديث النفس والخواطر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) رواه الترمذى عن ابن مسعود

وللذكر نور يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا للنار فاذا غفل الانسان تحركت النفس وكان لها حديث مع

الشيطان وقربت منه وتكدّر صفو القلب وتكتسب ذنوباً تحجب العبد عن ربه فتبعده عن العمل . قال تعالى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

فكلّ ما يلهوا به الإنسان ويغفل عن ربه فهو ران وشر لصاحبه وكل حديث للنفس فهو من الشيطان

أما من اتقى وذكر الله تعالى أزال الله عن قلبه الرانَ ورزقه التمييز ونور القلب وصفاءه فيعرف الهدى من الضلال ويصير حديثه في الخير وفي تصديق الحقّ ويكون من الله تعالى . قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) أي ذكروا الله تعالى) فإذا هم مبصرون

وفي الحديث إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى تولى وخنس وإذا غفل التقم قلبه محدّثه ومناه وقال تعالى (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)

فالذكر يورث التقوى ويحمي الجوارح من المكاره

ويظهر الباطن ويتقى حديث النفس فان حديث النفس أسوأ المعاصي والذاكر السائر فى مقامات السائرين إلى الله تعالى يندر فى حقه الخواطر الشيطانية لأن حديث النفس يكون دائماً لحظوظها الدنيوية وميلٌ الى الهوى وانتصار لها . وأما الخواطر الرحمانية فزجر للنفس وميل الى الأعمال الأخروية

وقد كنا نرى من أحوال الذاكرين اتباع شيخنا أنهم لا يركنون الى خواطرهم بل يتثبتون منها دائماً فلا يستفزهم الطبع ولا يستعجلهم الهوى وكانوا يتأدبون مع الله تعالى فينزلون النفس الى الذلّ والفقر اليه تعالى فيغيثها سبحانه وتعالى وياهمها فجورها وتقواها فيعرف ان كان الخاطر لطلب حظ فيصرفه وان كان لطلب حقّ فيمضيه فان أمضى خاطر الحظ يستغفر الله تعالى ويؤنب نفسه لأنه يعرف أنه اقترف ذنباً يجب المتاب منه

ولا يزال الذاكر يترقى من خواطر الحظ الى خواطر الحقّ ويتحقق من باطنه بمعرفة الخواطر ويتخلص من لمة

الشيطان فيكون مع لمة الملك ويكون قلبه مزيناً بضياء الذكر فيصفوا له الباطن ويستنير وتتسع له المعلومات فيترقى من حال إلى حال إذ يصير خاطر الحق عنده ثابتاً .

ومن ترك حب الدنيا مالها وجاهها ورفعته فيها ومنزلته عند الناس وكان أكله من حلال ميز بين الوسوسة والإلهام

ومن الأحوال السنية حال (الحب) وقد تقدم أن الحب مقام ولكن هذا في حق العام . أما الخاص فهو حب الروح وحب الروح موهبة فهو حال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . ومن أحب عبداً لا يحبه الا لله .. ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) رواه الخمسة كما في تيسير الوصول

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء (اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وسمعي وبصري

وأهلى ومالى ومن الماء البارد

فى الحديث الأول دلالة على أن هناك ذوقاً وأن هناك حلاوة ولا بدّ أن يكون لها لذّة . وفى الثانى يطلب أن يكون هذا حاله فيستأصل حب كل شئ ويبقى حب الله تعالى فى روحه وقلبه وكليته ليكون الطبع والجبلة والجوارح وكل شئ فيه حب الله لا يشعر بغيره فيكون حب الذات عن مشاهدة الروح وهو الحب الذى يكون فيه الاختيار والاصطفاء من الله تعالى فيكون موهبة منه سبحانه وتعالى للعبد ويؤدى إلى العشق

(والعشق) هو الافراط فى الحب . قال الأستاذ الشبراوى فى شرح ورد سحر — اعلم إن الارادة لها تسع مقامات . المقام الأول (الميل) وهو انجذاب القلب الى مطلوبه فإذا قوى ودام سمى ولعاً وهو المظهر الثانى للارادة ثم إذا اشتدّ وزاد سمى (صبابة) وذلك إذا أخذ القلب فى الاسترسال فيمن يحب فكأنه انصب كالماء إذا أفرغ فلا يجد بداً من الانصباب وهو المظهر الثالث

للارادة ثم إذا تفرغ له بالكلية وتمكن منه سمي (شغفاً) وهو المظهر الرابع للارادة ثم إذا استحكم في الفؤاد وأخذه عن الأشياء يسمى (هوى) وهو المظهر الخامس للارادة ثم إذا استولى حكمه على الجسد سمي (غراماً) وهو المظهر السادس للارادة ثم إذا تمكن وزالت العلل الموجبة للميل سمي (حباً) وهو المظهر السابع للارادة ثم إذا هاج حتى كان يفنى المحب عن نفسه سمي (وداً) وهو المظهر الثامن للارادة ثم إذا طفح حتى فنى المحب عن المحبوب سمي (عشقاً) وفي هذا المقام يرى العاشق محبوبه فلا يعرفه ولا يصغى اليه . وهذا آخر مقامات الوصول والقرب . وفيه ينكر العاشق معشوقه ولا يبقى الا العشق وحده فالعشق أعلى المقامات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ عَشِقَ وكَتَمَ وَعَفَّ وَصبرَ غَفرَ اللهُ له وأدخلهُ الجنَّةَ) رواه ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما اه

فالعشق أصل الأحوال السنية وموجبها فالمرء مع

من أحب وكن مع الله ترى الله معك

ومن الأحوال السنية أيضاً (الشوق) وهو كما قال بعض الصالحين كالزهد من التوبة اذا استقرت التوبة ظهر الزهد . واذا استقرت المحبة ظهر الشوق .. والشوق موهبة يعطيها الله تعالى للعبد وهى ثمرة المحبة فمن أحب الله اشتاق الى لقائه . وهذا الشوق يحملهم الى عدم النظر الى الجنة ونعيمها بل يطلبون المحبوب نفسه كما قالت السيدة رابعة العدوية

كلهم يعبدونك من خوف نار * ويرون النجاة حظاً جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيحظوا * بقصور ويشربوا سلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار حظ * أنا لا أبتغى بحبى بديلا

ومن الأحوال السنية أيضاً (الأنس) وهو انبساط المحب الى المحبوب أو كما قال الجنيد ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة . وقال غيره الأنس محادثة الأرواح مع المحبوب فى مجالس القرب . قال تعالى فى حديث قدسى

(أنا جليس من ذكرني) أي أنيسه فلا وحشة له على أن الأنس حال عظيم يؤنس الروح بلذة تذوقها فتندهش فيها وقد يراه المخلوق مع المخلوق فكيف بالخالق سبحانه وتعالى وفرق بين الأنس بالله والأنس بالمخلوقين

ومن الأحوال السنية أيضاً (البسط) وهو نشاط يهجم بسرور على القلب فيمتلئ القلب منه فرحاً وسروراً واستبشاراً من غير سبب سوى أثر الذكر وهو موهبة من مواهب الباسط سبحانه وتعالى ونور يغلب على القلب فيصل الى الروح فيتجلى في سماء المعارف فيزداد علمها بالله لأن رزق الجسم الأكل والشرب ورزق الروح المواهب العلمية والله سبحانه وتعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده

والنفس دسائس عند هذا الحال فانها تحين الفرصة في هذا الوقت وتسترسل في البسط فتخرج المريد عن حده اللازم بامالته إلى الهوى وهذا ممقوت ومبعد . وليس هذا هو المطلوب مع الله تعالى

وانما المطلوب أن يراقب ذلك فيراقب المولى سبحانه وتعالى ويخاف الغفلة عنه بما وهبه الله اياه فيقف عند حد الأدب ولا يشغله قبض أو بسط

ثم ليحاسب نفسه خوف أن يكون ذلك حادث تلتقمه النفس من مجريات الأحوال بسبب نشاط طبيعي واهتزاز نفساني أو بسبب سماع أو غير ذلك فيظنه حالا

ومن الأحوال السنية أيضاً (القبض) وهو ضد البسط وهو قهر يقبض النفس وهم يعترى القلب فيوهمه تارة ويخيفه أخرى أو يسكنه بانكماش مع الذل وهو من غير سبب أيضاً سوى أنه من أثر الذكر وهو موهبة من مواهب الحق يبعثه فى القلب ليجعل النفس لوامة. وفى هذا الحال يكثر العبد من الذل والندم والتوبة والرجاء والله يقبض ويبسط واليه ترجعون

وهذان الحالان لا يظهران كما قيل إلا في أوائل المحبة الخالصة لأنه متى ثبت الحب بالقلب ثبتت الروح مع الله فلا قبض ولا بسط وإنما هى مشاهد

ومنها (التواجد والوجد) . فالتواجد هو استجلاب الوجد بالذكر والوجد هيج بالقلب يهتز الذاكر فيشتد عليه الولوع بالمحبوب من غير طلب حتى يصير هذا الحال وجداناً فيستمر فيه .. وربما يكون الوجد من مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب وربما يكون السماع سبب له ويكون الوجد وارد حق جديد يجده المستمع من نفسه وهو إما أن يرجع عن مشاهدات ومكاشفات فيكون من قبيل العلو والتنبيهات وإما أن يرجع الى تغيرات وأحوال ليست من العلوم كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والقبض والبسط وهذه يهيجها السماع فان ظهر على الظاهر سمي وجداناً بحسب قوة وروده على القلب وبحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط حواسه وجوارحه وقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك

ومنها (الجذب) والجذب في اللغة المد وجذب الشيء

يجذبه جذباً وجبذه على القلب (والجبذ لغة تميم) وجذبه حوّله عن موضعه . والانجذاب سرعة السير وقد انجذبوا في السير وانجذب بهم السير وسير الجذب سريع

قال الأستاذ الشبراوى فى شرحه على ورد سحر اعلم أن أهل الجذب على أقسام كما أن أهل السلوك كذلك فمنهم مجذوب سالك . ومنهم مجذوب دام له الجذب . ومنهم مجذوب وقف بعد سيره ولا يصلح للإرشاد إلا الأول لمشاهدته سائر المقامات حال سلوكه وبعض أهل الجذب يطلعه الله تعالى على تلك المقامات فى زمن يسير كلحظة ليصلح للارشاد وكل من تقدم جذبهُ على سلوكه دل على عناية الله سبحانه وتعالى به لكن يشترط فى صلاحيته للارشاد أن يصحب جذبه السلوك ليقف على المقامات . والسلوك عبارة عن الانتقال من مقام الى مقام كالانتقال من اسم إلى اسم ومن تجلٍّ الى تجلٍّ ومن نَفَس الي نَفَس اه

فالروح يدعوها العشق الى مشاهدة المحبوب فتجذب

ويجذبها الله تعالى بجذبات الحق إليه فتريد أن تسرع إليه في المسير وتشتغل به

والوجد والجذب أحوال تعترى النفس وتقوى فيها وتنتشر على أجزاء الشخص فى الجوارح والحواس والقلب والعقل والروح فتورثها أحوالاً كثيرة نراها على أهل الجذب والوجد من إخواننا

منها أننا نرى البعض ثملاً ناشيا يكاد يكون كالسكران أو المجنون من شدة الحال غير أن السكران أو المجنون يذهب عقله فلا يدرى كيف حاله . أما هذا فمحفوظ له عقله ومدركاته وصاحب الحال ذو عقل اذا أراد العودة عاد كل شئ منه إلى مستقره فهو صاح . وصاحب الخمر أو المجنون لا يمكنه العودة لأنه مسلوب العقل وإذا عاد لا يستقر له شئ فى موضعه

ونرى من أحوال اخواننا أنهم لا ينعرجون فى أحوالهم ولا يستغرقون فيها لدرجة الدوام بل إنهم مع هذا الحال سالكون واقفون على حدّ المقامات وكان يحصل

للبعض جذب فى مجلس الذكر ربما يخرجه عن حركة الذاكرين ولكن بمجرّد أن ينبه الى الأمر من أحد اخوانه يعود مسرعاً نشيطاً نادماً على ماظهر منه

السريانى

وتراهم ينطقون بكلام غريب تارة يفهم وتارة لا يفهم وهذا الكلام يعبرون عنه بالسريانى أو بكلام الروح ويتكلمون به كثيراً فى مجالس الذكر وعند السماع أو عند قرع أسماعهم كلام غريب أو صوت مزعج أو عند رؤية منكر أو سماعه فتجد قلوبهم نفرت عن المنكر ونطقت بكلام قهرى تقهر عليه النفس قهراً وربما حدث للبعض فى الصلاة

ولقد كان الناس يتكلمون فيه ويقولون انه باختيار الشخص وأنه حرام فى الدين قطعاً ولكن ذلك لأنهم لا يعرفون أحوال القوم ووجدهم ومعاملتهم لله

ولقد كنا فى بلدة (بلقاس) مع سيدنا الأستاذ رضى الله عنه فى احتفال جمع الآلاف من الناس وفيهم وجوه القوم ومن ضمنهم عين من أعيان البلد المتعلمين النابغين المشهود له ومن أرباب المراتب العالية وقد اجتمع بسيدنا الأستاذ وسأله عن أتباعه وعما يراه من أحوالهم في الجذب وغيره وكان يجيبه عنها وسأله عن الكلام (السريانى) وبالغ في السؤال وأنكر هذا الأمر وأن وقوعه بدعة فى الدين وحرام. فقال له سيدى ان السالكين فى طريقنا لم يتصنعوه ولم يقولوه من أنفسهم بل انهم مقهورون عليه. وقد اجتمع بنا مفتى الديار المصرية (الشيخ بكر الصدفى) فرآنا على هذا الحال ولم ينكر علينا فقال له هذا (العين) وهو الآن حائز لرتبة (باشا) أهل لو كتبت لك سؤالا عن هذا الكلام تجيبنا عليه كتابة لنرسله الى المفتي فيجيبنا عنه بالجواز . فقال رضى الله عنه نعم ذلك فأتى بمحبرة وقرطاس وسأله بما في معنى هذا السؤال

لقد سمعنا من بعض أتباعكم كلاماً غير مفهوم قالوا عنه إنه كلام (سرياني) وهذا ليس من الشرع في شيء فهل تخبرنا عنه (فأجاب)

إن الذاكر الساهر الذي تعلق قلبه بربه يرد على قلبه من معاني الاسماء معانٍ يذوقها لا يمكنه التعبير عنها بأي لفظ عربي فيأخذه الوجد فينطق قهراً عنه بكلام لا يفهم وهو كلام الروح ولو صدر منه هذا في الصلاة وكان هذا حاله لا يخرج من الصلاة كالعطاس لأن العطاس يخرج قهراً ولا يبطل الصلاة . فقال له الباشا لقد اقتنعت بهذا الجواب غير أننا لا نضمن أن يكون هذا من حال عندهم لأننا نراهم سالكين ليس عندهم حال الجذب الشديد الذي يجعلهم يقولون مالا يفقهون . فقال له ان أولادنا حالهم حال السلوك وقلوبهم مع الله . فقال له ربما البعض يتصنع هذا الأمر فهل أنت راضٍ عنه . فقال له لا أرضى ذلك ولا رسول الله ولا الله سبحانه وتعالى يرضى عنه ومن يفعل ذلك يكون ممقوتاً بين الله وبين الناس . فقال أريد أن

فعلن ذلك فأمر سيدى أحد علماء الأزهر من مريديه الذين كانوا معه فأعلن ذلك للمجمع وبين لهم سؤال (الباشا) وكلام سيدى الأستاذ وقام عقب ذلك جملة من العلماء والحاضرين من المعترضين وغيرهم وصاروا يخطبون فى الحث على الذكر ومدح الذاكرين حتى قال (الباشا) للمحتفل انك حزت على حفلة دينية لو صرف على جمعها آلاف النقود لم يتحصلوا عليها بهذا المثال

هذا وقد قال بعض الصالحين المحبة معنى من المحبوب وهو الله سبحانه وتعالى . وهذا المعنى يقهر القلوب عن إدراكه ويمنع الأنس به عن عبارته . وهكذا نشوة المحب للمحبوب وتهتك المشتاق بالمشوق به وسريان الروح فى عالم التفكير ومسارح الترقى يجعلها تنطق بما لا تعى — أنطقها الله الذى أنطق كل شئ — وقد يستمر السالك فى حاله هذا حتى يصير عادة عنده ويرجع منه بدرجات عظيمة وكشف كبير

وإذا انتهى إليه هذا الحال أصبح أنسه بمولاه خيرله

من سواه فيقف معه موقف الهيبة والإجلال والتعظيم لا يفكر إلا فى لقائه ورضائه عنه وزيادة الاحسان به فيقدر على نفسه ولا يرضى الكلام

قال الشبلى العارف إن تكلم هلك .. والمحب إن سكت هلك

ويروى عن الجنيد رضى الله عنه أنه منع بعض المحبين من أتباعه من الكلام فى حال الوجد فمات لوقته . فقال للحاضرين هذا هو المحب حقيقة لأن الكلام كان يفرج عنه ولما منع منه مات

ونرى من بعض أتباع سيدى الأستاذ من مَن أخذه الوجد يصفق على يديه ويصفر ويكاد يقطع ملابسه لكن الله سبحانه وتعالى يلطف به في الحال فيضبط حاله ويفيق بسرعة غريبة .. ومن لطف الله وسر هذا الطريق أنه طريق سلوك كما قال شيخنا أن المريد لا يأتيه هذا الحال وهو مشتغل بمهنته الدنيوية . أما ما يظهر منهم من الكلمات المتفرقة التى تظهر منهم فى بعض الأحيان ربما تكون

أسماء بلاد أو أسماء أشخاص أو حيوانات فإنها ربما تكون في نفس المتكلم من الخواطر فغلب الوجد عليه فتكلم بما كان يجول في خاطره قبل توارد الوجبة من الوجد وتدفعها الشدة فيكررها . ولذا قيل أن بعض القضاة أخذه الحال وهو في القضاء فأخذه الجذب فصار يقول لاحق ولا استحقاق ولا ملك ولا شهة ملك مما كان يقيده في قضائه واستمر عليه في جذبه

وأما مايقوله البعض منهم أخذا من كلام غيره فإنه أحد أمرين . إما انه ذو حال جديد فيكون قلبه مستعداً لما يرد عليه وكلام القوم نور فيقذف فيه . واما أن يكون تقليداً بطبيعة الحال

ولذا نبه بعض الصوفية الى أن الذاكر صاحب الحال يلزمه تجنب سماع الكلام السوء حتى لا ينطبع في قلبه لأنه قريب عهد بربه وقلبه كنز جاجة المصور التي لم تر شمساً فأول شئ تراه ينطبع فيها هذا بخلاف المقلد فانه ممقوت ويكون كلامه ثقيلا على القلوب . وكنا نرى اخواننا يفرون

منه لثقله وخوف انتقاده بقلوبهم وهم مع الله فيحكون انتقادهم نظراً منهم الى الغير . وقد نهى شيخنا عن التصنع كما مر

واليك ما أورده نجم العرفان الحافظ سيدى أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدى عبد العزيز الدباغ فى الكلام السريانى قال سمعته رضى الله عنه يقول إن اللغة السريانية هى لغة الأرواح وبها يتخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم لاختصارها وحملها المعانى الكثيرة التى لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها فى لغة أخرى . فقلت وهل تبلغها فى ذلك لغة العرب . فقال رضى الله عنه لا يبلغها فى ذلك الا ما فى القرآن العزيز فان لغة العرب اذا جمعت المعانى التى فى السريانية وكانت بلفظ العرب كانت أعذب وأحسن من السريانية . قال وسمعته رضى الله عنه يقول أن اللغات كلها مطنبه بالنسبة للسريانية لأن الكلام فى كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية . وفى السريانية يتركب من الحروف الهجائية

فكل حرف هجائى فى السريانية يدل على معنى مفيد . فإذا جمع إلى حرف آخر حصلت منهما فائدة الكلام . ومن عرف لأى معنى وضع كل حرف هان عليه فهم السريانية وصار يتكلم بها كيف يحب وارتقى بذلك إلى معرفة أسرار الحروف (١) وفى ذلك علم عظيم حجبه الله عن العقول رحمة بالناس لئلا يطّلعوا على الحكمة مع الظلام الذى فى ذواتهم فيهلكوا نسأل الله السلامة

قال وسمعته رضى الله عنه يقول إن اللغة السريانية سارية فى جميع اللغات سريان الماء فى العود لأن حروف الهجاء فى كل كلمة من كل لغة قد فسرت فى السريانية ووضعت فيها لمعانيها الخاصة التى سبقت لها الإشارة . مثاله أحمد يدل فى لغة العرب إذا كان علماً على الذات

---

(١) قال لى أحد اخوانى فى الله تعالى من غير المتعلمين ورد على وأنا أذكر أن كل حرف من حروف الهجاء يدل على اسم من أسماء الله تعالى وانه موضوع على جنس من خلق الله تعالى يحفظه الله بسر هذا الاسم

المسماة به . وفى لغة السريانية تدل الهمزة المفتوحة التى فى أوله على معنى والحاء الساكنة على معنى والميم المفتوحة على معنى آخر . وهكذا محمد فى لغة العرب على الذات المسماة به . وفى السريانية تدل الميم على معنى والحاء المفتوحة على معنى والميم المشددة على معنى والدال التى فى آخره على معنى وهكذا زيد وعمر ورجل وامرأة وغير ذلك مما لاينحصر فى لغة العربية فكل حروفها الهجائية لها معان خاصة فى اللغة السريانية وكذا حكم كل لغة (فالبار قليط) وضع فى كل لغة العبرانية علماً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفى السريانية الهمزة التى فى أوله تدل على معنى واللام الساكنة تدل على معنى والباء على معنى وهكذا إلى آخر حروفه . فالسريانية هى أصل اللغات بأسرها واللغات طارئة عليها وسبب طروئها عليها الجهل الذى عم بنى آدم وذلك لأن مبنى وضع السريانية وأصل التخاطب بها المعرفة الصافية التى لاجهل معها حتى تكون المعانى عند المتكلمين بها معروفة قبل التكلم فتكفى إشارة مافى إخطارها فى

ذهن السامع فاتفقوا على أن أشاروا الى المعانى بالحروف الهجائية تقريباً وقصدوا الى الاختصار لأن غرضهم الخوض فى المعانى لا فيما يدل عليها حتى أنهم لو أمكنهم إحضارها بلا تلك الحروف ما وضعوها أصلاً . ولهذا لا يقدر على التكلم بها الا أهل الكشف الكبير ومن فى معناهم من الأرواح التى خلقت عرّافة درّاكة والملائكة الذين جبلوا على المعرفة فاذا رأيتهم يتكلمون بها رأيتهم يشيرون بحرف أو بحرفين أو بكلمة أو بكلمتين إلى ما يشير اليه غيرهم بكراسة أو بكراستين فاذا عرفت هذا علمت أنه لما عم بنى آدم الجهل كان ذلك سبباً في نقل الحروف عن معانيها التى وضعت لها أولا وجعلها مهملة فاحتيج فى أداء المعانى الى ضم بعضها الى بعض حتى يحصل فيها مجموع يسمى كلمة فيدل على معنى من المعانى الدائرة عند أهل ذلك الوضع فضاع بسبب جهل معانى الحروف ومعرفة أسرارها علم عظيم ومع ذلك فإن أخذت تلك الكلمة التى فى تلك اللغة وأردت أن تفسر حروفها بما كانت عليه قبل الوضع

والنقل وجدت فى الغالب حرفاً منها يدل على المعنى الذى نقلت اليه لاتفاقه مع المنقول عنه ووجدت باقى حروف تلك الكلمة يدل على معانٍ أخر يعرفها السريانيون ويجهلها غيرهم فالحائط مثلا وضع فى لغة العرب للسور المحيط بدار أو نحوها والحاء التى فى أوله تدل على ذلك فى لغة السريانية والمـــاء مثلاً وضع فى لغة العرب للعنصر المعروف والهمزة التى فى آخره تدل على ذلك والسماء وضعت للجسم المعلوم والسين التى فى أوله تشير الى ذلك وهكذا من تأمل غالب الأسماء وجدها على هذا النمط ووجد غالب حروف الكلمة عنائمة بلا فائدة . قال وسمعته رضى الله عنه يقول أن سيدنا آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما نزل إلى الأرض كان يتكلم بالسريانية مع زوجته وأولاده لقربهم بالعهد . فكانت معرفتهم بالمعانى صافية فبقيت السريانية فى أولاده على أصلها من غير تبديل ولا تغيير الى أن ذهب سيدنا ادريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام فدخلها التبديل والتغيير وجعل الناس ينقلونها عن

أصلها ويستنبطون منها لغاتهم فأول لغة استنبطت منها لغة الهند فهي أقرب شيء الى السريانية (قال) وانما كان سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام يتكلم بالسريانية بعد نزوله من الجنة لأنها كلام أهل الجنة فكان يتكلم بها في الجنة ونزل بها الى الأرض (قال) فقلت فقد ذكر المفسرون في قوله تعالى (خَلَقَ ٱلإِنسانَ عَلَّمَهُ ٱلبَيان) ان المراد بالانسان آدم . والمراد بالبيان النطق بسبعمائة لغة أفضلها القرآن فقال رضى الله عنه ان ذلك التعليم الذى وضع لآدم صحيح وهو كذلك يعرف تلك اللغات ومَن دُونه من الأولياء يعرفها ولكن لا ينطق الا باللغة التى نشأ عليها وآدم انما نشأ على لغة أهل الجنة وهى السريانية . قال وأما حديث ابن عباس مرفوعاً (أحب العرب لثلاث) لأنى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى . فان النفيلى قال لا أصل له وعده ابن الجوزى في الموضوعات . قال وسمعته رضي الله عنه يقول من تأمل في كلام الصبيان الصغار وجد السريانية كثيراً في كلامهم اه

الدرجات والكرامات

أما الدرجات فإنها عطية من الله سبحانه وتعالى وموهبة منه لا تنال بالطلب وليست هي المقصودة في العمل وأهل الكمال العاملين على النهج المارفي الأحوال والمقامات لا يقصدون في عملهم نوال درجات أو عطايا إنما مقصدهم هو الله سبحانه وتعالى والفناء في حبه ورضاؤه عنهم فاذا أعطى الله تعالى العبد درجة من الدرجات أو موهبة من المواهب كان قبوله لها لأنها عطية من المحبوب لا أنها مطلوبة فلا تشغله

وسمعت شيخي رضي الله عنه يقول للمبتدئين اذكروا الله ذكراً خالصاً لوجهه الكريم لا تقصدون منه ولاية ولا درجة من الدرجات ولا عطية من العطيات إنما اذكروه عبادة محضة . قال تعالى (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)

والدرجات كثيرة نذكر منها طرفاً على سبيل

الاستشهاد مما رأيناه فى شيخنا وأتباعه ونقدم أولا بيانا مختصرا فنقول . قال تعالى (عَالِمُ الغيبِ فَلا يُظهِرُ على غَيبِهِ أحدًا إلا مَنِ ارْتَضى مِن رَسولٍ فانه يَسلُكُ مِن بَينِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصدًا لِيعلَمَ أَنْ قد أَبلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وأَحاطَ بما لَدَيهِمْ وأَحصَى كلَّ شَيءٍ عَددًا) أى يُعلِمه بعض الغيب فيكون إخباره عن الغيب معجزة فمن رسول بيان لمن ارتضى والولى اذا اخبر بشيء فظهر فهو غير جازم عليه بل يقول بناء على رؤياه أو بالفراسة أو بالالهام أو بالكشف أو بالسمع أو بالبصر وسيأتى بيان ذلك مفردا عن كل درجة .

على أن كل كرامة للولى فهى معجزة للرسول وعلم الغيب لله سبحانه وتعالى فهو منفرد به لا يطلع عليه أحد من خلقه لا رسول ولا نبى ولا ملك ولكن يظهر ما يشاء من بعض الغيب على من يصطفيه من الملائكة والرسل والأنبياء والأولياء من ذلك إرساله الملائكة للرسل بالآيات والأحكام وما يقومون به من دفع الباطل الذى يصيبهم فى

دعوتهم ببيان مواقعها قبل وقوع الشئ كما ورد فى القرآن

(سيقولُ لكَ المخلَّفونَ مِنَ الأعرابِ شغلتْنا أموالُنا وأهلُونا) وقوله تعالى (الم غُلِبتِ الرُّومُ فى أدنَى الأرضِ وهُمْ مِنْ بعدِ غلبِهِمْ سيغلِبُونَ فى بضعِ سنينَ للهِ الأمرُ مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ ويومئذٍ يفرحُ المؤمنونَ بنصرِ اللهِ ينصرُ مَنْ يشاءُ وهوَ العزيزُ الرَّحيمُ)

وقوله تعالى (سيُهزَمُ الجمعُ ويُولُّونَ الدُّبُرَ)

وقوله تعالى (ستُدعَونَ إلى قومٍ أولى بأسٍ شديدٍ) وغير ذلك فهذا إخبار بالمغيبات على لسان الملائكة

وبالوحى القلبى وغيره للرسل والأنبياء والأولياء قال تعالى (ففهَّمناها سُليمانَ) وفى قوله تعالى (قالَ الذى عندَهُ علمٌ مِنَ الكتابِ أنا آتيكَ به قبلَ أنْ يرتدَّ إليكَ طرفُكَ) وقال تعالى (وعلَّمناهُ مِنْ لدُنَّا

علما) وفى تكلم عيسى وغيره فى المهد دلالة كبرى على إلهام الله سبحانه وتعالى لمن يريد أن يلهمه مايريد من الآيات قال تعالى على لسان عيسى (إِنِّى عَبدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجعلنِى نبِيًّا وَجعلنى مُباركًا أَينَمَا كُنت وَأَوصانِى بالصَّلاةِ والزَّكاةِ مادُمتُ حيًّا) والأحاديث الناطقة عمن تكلم فى المهد مشهورة . على أن الله سبحانه وتعالى يكرم الولى من حيث لايشعر الولى نفسه ويكشفه على ما يشاء أن يكشفه عليه لمصلحة عامة أو أمر ضرورى يؤدى لإصلاح الحال فى الدين أو الدنيا لقوم مؤمنين

ولو قيل لو جازت الكرامة للولى لما تميزت المعجزة للنبى وفسد الطريق إلى معرفة الرسول من غيره «فالجواب» أن الفرق بين معجزة النبى وكرامة الولى أن المعجزة خارقة للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى « أى الطلب » والولى لا يدعى خرق العادة مع التحدى فان الولى تابع للرسول متابع له . والكرامة مع متابعته للنبى واقتفاء أثره وسيره الى الله سبحانه وتعالى معجزة للرسول . ومما تقدم فى

أحوال السالكين المحبين الواهين الوالهين بالله سبحانه وتعالى يُعلم أن هذه الكرامات والدرجات إنما هي نورٌ يرسله الله سبحانه وتعالى في قلوبهم فيضيء على أرواحهم فتشهد بمدارك المعرفة ما يريد الله تعالى أن يشهدهم إياه والعطايا لا تعد ولا تحصى ولكن نذكر منها طرفاً على سبيل التعريف فقط دلالة على فضل الله على عباده (منها)

الفراسة

وهي نورٌ يقذفه الله سبحانه وتعالى في القلب بسبب إخلاصه في محبته وسلوكه مقامات الوصول فيهتدي إلى الحق ويميز به الظلمات من النور فيدرك بعقله مسارح الأرواح وتقلبات القلوب مهما خفيت . ولذلك حث السادة الصوفية على ضرورة حفظ القلب مع السالكين خوف اتصال النظر بطريق استدلال الأرواح بنور الفراسة لخواطر القلوب فيحصل تغيير في التقابل فتتغير القلوب

ويتكدر صفوها والله تعالى مع المتقين قال تعالى (إنَّ اللهَ معَ الذينَ اتَّقوا والذينَ هُمْ محسنُونَ) وقال تعالى فى حديث قدسى « أنا معَ المنكسرَةِ قلوبهم لأجلى »

وفى الأثر اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله .

وفى الأثر أيضاً « اتقوا غيظ القلوب » ثم إن الفراسة تتولد من السير في مقامات السلوك فيتقلب القلب في المجاهدات ومعرفة خطايا النفس فيشهد مثل أحواله فى غيره والمؤمن مرآة أخيه فيتفرسها .

والفراسة أيضاً نهجم على القلب من نار الوجد والمحبة لله تعالى حتى تصير إلهاماً .

والفراسة أيضاً ربما تكون من قوة الروح المتسلطة على العقل فتدرك بطريق التميز وقد يكون فى عامة الناس وليست هذه الأخيرة هى المقصودة من مواهب الأولياء (ومنها)

الالهام

وهو عبارة عن وحي يوحيه الله تعالى في القلب بنور المعرفة فيهتدي إلى الصواب ويثمر علماً لدنياً من علم الله تعالى . والعلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين الروح وبين الله سبحانه وتعالى بل يكون كالضوء من النور يفرغه الله على قلب صاف فارغ من الأغيار ومن هوى النفس ومن حب الدنيا ومن الأمراض التي تحجب العبد عن ربه فتنزل على قلب لطيف تشغله فيكون واسطة العبد بربه فلا ينطق إلا حقاً ولا يقول إلا ما يريده الله سبحانه وتعالى . وقد قال شيخنا رضي الله عنه (لا يأتي من الذكر غير الحق لأن القلب الصافي المشغول بالله يذكر الحق ولا يقول الا حقاً) قال تعالى (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) وقال تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) وقال تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ

أرضه) يعني ألهمها وهداها وقال تعالى (علّم الانسان مالم يعلم) وقال تعالى (وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة) وقد علم من هذا أن علم آدم كان علماً لدنياً ليس بتعليم ملك فهو علم موهوب لأنه قال ثم عرضهم على الملائكة . وعلم الانبياء علم موروث منه ثم علم موهوب لهم يختصون به بواسطة وبغير واسطة . فبواسطة كالوحي بواسطة الملك ، وبغير واسطة كالوحي في الروع . كما أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث للأمة بالنور الموروث والموهوب له خاصة فعلمه علم موهوب خصوصية له وموروث له من آدم وإن كان هو الأصل قبل خلق آدم .

قال الامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي ما ملخصه . والعلم اللدني يكون لأهل النبوة والولاية كما حدث للخضر عليه السلام حيث قال تعالى (وعلمناه من لدنا علما) والوحي قد انقطع بانقطاع النبوة لأن باب الرسالة قد أغلق بعد تصحيح الحجة وإكمال الدين لهم على يد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى (اليوم

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا) وليس من الحكمة إظهار زيادة الفائدة من غير حاجة بإرسال الرسل ولكن ضرورة النفوس وحاجتها الى تأكيد وتجديد وتذكير جعل الله باب الالهام مفتوحاً ومدد نور النبوة لاينقطع رحمة منه سبحانه وتعالى بالأمة حتي لاتستغرق النفوس فى الوساوس وتنهمك فى الشهوات وليظهر ينابيع الحكمة فى الروح وتأثير المؤثر عليها ولأجل النظر فى ابداع الصنع والتفكر فى مخلوقات الله سبحانه وتعالى اهـ

ولو نظر الانسان فى نفسه وأن قلبه مسيطر على حواسه وجوارحه يحركها كيف أراد لعلم أن لله سبحانه وتعالى فى خلقه شئونا يحركها كيف أراد وأنه هو المعطى وهو المدبر وهو اللطيف الخبير .

فالإلهام عبارة عن نور يسطع فى قلب العبد المؤمن التقى السائر إلى الله تعالى الذى أخلصه اليه ورزقه حبه فاشتاق اليه وانجذب له فقذف في قلبه نور المعرفة وألهمه

الصواب وأزال عن قلبه الرّان وكشف له حجاب الجهل وعرفه به وعلّمه ماشاء قال تعالى (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) أي علّمها بنور المعرفة والتمييز فجورها ليبتعد عنه وعلمها تقواها لتخشى الله تعالى وتسير فيما يرضيه . ولقد شاهدنا على إخواننا هذا الحال في وجود شيخنا رضي الله عنه وظهر منهم العجب العجاب فقد كانوا يقولون كلاماً على صورة الموزون من غير تحضير أو تفكير أو مطالعة كتب أو غير ذلك فيتكلمون فيه بالتوحيد المحض بكلام يؤثر على الأرواح تأثيراً كلياً فتسير فيها عوامل الطرب ويورثها أُنساً غريباً لم يعهد له نظير من قبل أو يتكلمون في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم بروح تظهر عليها الدهشة في الحضرة النبوية فيتكلم بلسان الحاضر مع المصطفى فيجذب له الناس لاستماعه حتى رأينا من العلماء والمتعلمين وقادة العقول إنكباباً على سماع هذا الكلام بجاذبية شديدة مع الدهشة والاستغراب لأن كلام الملهم منهم يخرج من روح عامرة لله فينزل في القلب كالمصباح

فى المكان المظلم وقد يكون ذلك سبباً لهداية كثير من الخلق لأن روح الدعوى والإرشاد التى يبديها الملهم فى كلامه إنما هى روح من الله تعالى ألقاها فى القلب لتلفتهم إلى معرفة الله والى عبادته . وكان بعض الناس يظنون أن هذا الكلام ربما كان محفوظاً منه شئ فكانوا يحضرون فى المجتمعات وحفلات الذكر ويختبرون الملهمين بإلقاء أبيات من صناعة الشعراء ليقولوا عليها تشطيراً لها أو تخميساً منها أو من نوعها أو من معناها فكان سيدنا الأستاذ رضى الله عنه يبيح ذلك بصدر واسع ويأمر الملهم أن يقول كما يطلبون إظهاراً لفضل الله تعالى وبيانا لواسع اعطائه وتشويقاً لعباده فكان يقول المأمور قولاً بدون تردد ينطلق فى الكلام انطلاقاً بأفصح عبارة وأحسن بيان وكانوا يطلبون أيضاً تفسير قرآن . فكان رضى الله عنه يأمر الملهمين أيضاً بالتفسير فيفسرون الآيات بأحسن تفسير ولا يوجد أدنى وجه للاعتراض مطلقاً من الحاضرين مع أن التفسير يكون بحضور كبار العلماء من الأزهر

وغيرهم من المعاهد الدينية والمدارس

ولقد رأينا بعض المدرسين وقضاة المحاكم الأهلية والشرعية يتزاحمون لسماع هذا الكلام ومنهم من قال أن هذا التفسير فى طائفة مخصوصة من أتباع الشيخ فقيل له ان هذا فى غير واحد بل إن تلاميذ المدارس الواصلين على سيدى فيهم هذه الموهبة فهم يقولون ويكتبون فطلبوا من سيدى الأستاذ أن يأمر بعضهم أن يكتب فنادي أحد تلاميذ المدرسة وطلب منهم أن يلقوا عليه آية أو آيات من القرآن ليكتب عليها فطرح عليه أحدهم أو هو الأستاذ « الشيخ طنطاوى جوهرى » الفيلسوف الشهير آية من القرآن ليكتب عليها أمامه وهى (والسماء رفعها ووضع الميزان) وجئ له بالورق فكتب عليها بدون تردد أو انتظار للكتابة أو قدح فكر كما هو شأن الكاتب بل استرسل فى الكتابة حتى فسر الآية وملأ أربع صحائف كبيرة فى مسافة لا تزيد عن ربع الساعة والناس حاضرون يرون ذلك وبعد أن أتم الكتابة قرأها

عليهم فعلموا أن هذا سرّ الطريق والذكر وأن هذه موهبة من الله تعالى وأنه إلهام حقيقة لأن روح الإلهام ظاهرة فيه وكانت هذه آية من آيات الهداية وكرامة من كرامات الدعوى وأنه بروح من الله تعالى .

وتكرر ذلك مراراً في كل بقعة وفي كل مكان من أناس كثيرين جداً فكانوا يذعنون الا الذي في قلبه مرض بل ربما أذعن مريض القلب ثم يعود الى اصراره ..

(ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وهذا قد أرداه كبره عن الهداية شأن المتكبرين نعوذ بالله منهم . (ومنها)

الكشف والسمع والبصر

فالكشف نور في القلب يدرك به الولي عين الشيء بقوة البصيرة فيطلعه الله على ما يشاء أن يطلعه عليه بحسب حاله وهو على ثلاثة أقسام

أولها قوة الخاطر وسرعة الفهم وتخيل الأشياء وتكرر ذلك مع صدق الخاطر فى كل مرة فيصير في قوة الكشف وهو طوالع الكشف . وثانيها تمثل الأشياء الغيبية ومواقعها في القلب فتُدرَك بالتحقيق عند وقوعها ويتكرر ذلك . وثالثها ادراك الأشياء بقوة البصيرة فيقول باطلاع محقق يطلعه الله سبحانه وتعالى عليه متى شاء .

والسمع والبصر قوتان من قوة الكشف ودرجتان عظيمتان يهبهما الله سبحانه وتعالى للولى . قال لى شيخى ان الله سبحانه وتعالى يعطى للولي درجتى السمع والبصر فيرى الولى من هو فى أقصى الأرض ويسمع من يناديه كذلك .

ولقد كان لى واقعة حال معه رضى الله عنه فى هذه المسألة فانى فى بدء أمرى قبل المعاهدة سمعت منه ذلك وما كنت أدرى أن الولى يسمع ويبصر . بل كنت أفهم أن ذلك عطاء يوحيه الله سبحانه وتعالى فى قلب من يريد

من أوليائه فقلت له كيف ذلك فقال يسمع الكلام فى القلب قبل أن يتقلقل ويبصره أيضاً كأنه محسوس فاندهشت في نفسي ونظرت إلى سيدى فى حال محادثته بحالة الاستغراب فنظر الىّ نظرة شديدة رأيته فيها كالأسد الضارى بعينين براقتين لا أكاد أنظر إليه وكدت أهلك من هذه النظرة ولم أجد لى مجالاً للقيام فسكتَ وسكتُّ أنا هذه فهدأ روعى ولم يمكنى بعدها النظر اليه كما كنت أنظر اليه من قبل .

أما تحقق الكشف والسمع والبصر فقد ورد بتأكيده الشرع الشريف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد كانَ فِيمن كان قبلَكُمْ مِن الأمم ناسٌ مُحَدَّثون من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكُنْ فى أمتى أحدٌ فإنه عمر بن الخطاب) رواه أبو هريرة كما أخرجه البخارى

وقد ثبت عن سيدنا عمر رضى الله عنه فوق ذلك الكشف والسمع والبصر وإسماعه للغير فقد كان بالمدينة وجيشه « بنهاوند » وبينهما مسافة شهرين فرأى العدو

كامناً وراء الجبل ينتظر مرور الجيش فنادى سيدنا سارية وكان أمير الجيش وقال له « ياسارية الجبل » وهو على المنبر يخطب يوم الجمعة فسمع سيدنا سارية هذا النداء سماع المحقق وعلم أنه أمير المؤمنين فسار الى الجبل وهناك رأى الأعداء فانتصر عليهم ولولا ذلك لهلك الجيش . فانظر إلى رؤية سيدنا عمر رضى الله عنه . وإلى سماع سيدنا سارية كلامه . وإلى معرفة موضع النجاة فإن ذلك مما يثبت الكشف والسمع والبصر فى الأمة المحمدية . قال الامام حجة الحفاظ والمفسرين ناصر السنة . ومؤيد الملة . تاج الدين سيدى عبد الوهاب بن تقى الدين السبكي رضي الله عنه فى طبقات الشافعية الكبرى لم يقصد سيدنا عمر رضى الله عنه اظهار هذه الكرامة وإنما كُشِف له ورأى القوم عياناً وكان كمن هو بين أظهرهم أوطُوِيَتْ الأرض وصار بين أظهرهم حقيقة وغاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما هم المسلمين بنهاوند فخاطب أميرهم خطاب من هو معه أو هو حقيقة أو كمن هو معه (قال) واعلم أن مايجريه الله على

لسان أوليائه من هذه الأمور يحتمل أن يعرفوا بها ويحتمل ألا يعرفوا بها وهي كرامة على كلا الحالتين .

ولقد أورد تاج الدين المذكور في الكتاب المذكور كلاماً عن الكرامات ما ملخصه

اعلم أن كل كرامة ظهرت على يد صحابي أو ولي أو تظهر الى يوم يقوم الناس لرب العالمين فانها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لأن صاحبها انما نالها بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم وهو معترف له بأنه مُقدّم خليقة الله وصفوتهم وسيد البشر الذي من بحره تستخرج الدرر ومن غيثه يستنزل المطر وهذا المعنى يصلح أن يكون سبباً اجمالياً عاماً في اظهار لاسيما في عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فإن الكفار إذا رأوا ما يظهر على يديهم من الخوارق آمنوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم وعلموا أنهم على الحق ثم أورد كرامات كثيرة للصحابة منها ما كان على يد سيدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وهو ماصح من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن أبا

بكر الصدّيق رضي الله عنه كان نحلها جاد عشرين وسقاً فلما حضرته الوفاة قال والله يابنيّ ما من الناس أحد أحبّ إليّ غِنًى بعدي منك ولا أعز علي فقراً بعدي منك وإني كنت نحلتك جاد عشرين وسقاً فلو كنت جددتيه وأخرتيه كان لك وانما هو اليوم مال وارث وإنما هو أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله . قالت عائشة يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته انما هي أسماء فمن الأخرى . فقال أبو بكر ذو بطن بنت أراها جارية فكان كذلك (قال) قلت فيه كرامتان لأبي بكر « أحدهما » اخباره بأنه يموت في ذلك المرض حيث قال وإنما هو اليوم مال وارث « والثانية » إخباره بمولود يولد له وهو جارية . ومنها ماحدث لسيدنا عمر رضي الله عنه عند مازلزلت الأرض في زمنه حيث ضرب الأرض بدرته وقال لها أقرّي ألم أعدل عليك فاستقرّت .

ومنها جوابه للنيل أن يجري وقصته مشهورة حيث كتب بطاقة لسيدنا عمرو بن العاص ليلقيها في النيل حينما

أخبره بتأخر جريانه وبعادة المصريين الذين كانوا يرمون في النيل جارية فألقاها فجرى النيل وأبطل العادة المنافية الإسلام.

ومنها ما وقع من سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث دخل عليه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها فقال له عثمان رضي الله عنه يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا فقال الرجل أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ولكنها فراسة .. ومنها ما وقع على يد سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه حيث دعا الله تعالى لرجل جف شقه الأيمن بسبب مخالفته لوالده ثم رضي عنه قال يامبارك قم فقام ومشى وعاد الى الصحة كما كان.

ومنها استسقاء سيدنا عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه فأمطرت السماء وقصتهما مشهورة. وفي هذه القصة جواز الوسيلة بالأولياء كما فعل سيدنا عمر بالعباس رضي الله عنه.

ومنها على يد سيدنا عمر رضي الله عنه أيضاً حيث قال

للأسد الذى منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وذهب .

ومنها على يد العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه وقد بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة فى جيش فحال بينهم وبين الموضع البحر فدعا الله ومشوا على الماء

ومنها أن سيدنا خالد بن الوليد شرب السم ولم يضره

وقد أخذ مما استطرده فى بيان الكرامات الرزق الكريم فى المحراب ولم تكن نبية .

وقصة أهل الكهف وقصة آصف بن برخيا مع سليمان فى حمل عرش بلقيس وما أعطاه الله لعلماء هذه الأمة وأوليائها من الكرامات وهى ماشاع وذاع بحيث لا ينكرها الا جاهل معاند طمس قلبه والعياذ بالله فانها جارية مجرى شجاعة على وسخاء حاتم وانكارها من أعظم المباهته . والاحتجار على مواهب الله تعالى لأوليائه عظيم خسير . وذكر أنواعاً من الكرامات وما وقع فيها للعلماء والصالحين من خوارق العادات (قال) منها احياء الموتى

واستشهد لذلك بقصة أبي عبيد البسري وقد صح أنه غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها حتى رجع الى بسر فقامت الدابة تنفض أذنيها . فلما فرغ من الغزوة ووصل الى بسر أمر خادمه أن يأخذ السرج عن الدابة فلما أخذه سقطت ميتة

وقال سيدي مفرج الدماميني للفراخ المشوية طيري فطارت ونادى الشيخ الأحول لهرته بعد ماماتت فجاءت من الخرابة التي ألقيت فيها

ومنها كلام الموتى كما حصل لأبي سعد الخرّاز وغيره ومنها انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء كما اتفق لشيخ الاسلام تقي الدين بن دقيق العيد . ومنها انقلاب الأعيان كما حكي أن الشيخ عيسى المطار اليمني أرسل اليه شخص مستهزئاً به اناءين من خمر فصب أحدهما في الأخر وقال بسم الله كلوا فأكلوا . ومنها انزواء الأرض وكلام الجمادات والحيوانات كما حصل لسيدي ابراهيم بن أدهم حيث كلمته الشجرة . ومنها ابراءُ العليل ؛ ومنها الأخبار

بالمغيبات والتصريف حتى ذكروا أن بعضهم كان يبيع المطر . ومنها رؤية المكان البعيد ومن وراء الحجب والاطلاع على ذخائر الأرض وهكذا آخر ما أورده .

وذكر أن سيدي عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء رد وعاء الجبن مع رسول الشيخ عبد الله البلتاجي حين ما أهداه به وبغيره فأخذ غيره ورد الجبن من غير مايعلم شيئاً عنه وقال له إن المرأة التي حلبت هذا كانت يدها متنجسة بالخنزير وكان ذلك صحيحاً لأن الرسول وقع منه الوعاء في الطريق فانكسر بالجبن فرآه شخص ذمي فباعه غيره وهو الذي رده الشيخ . وذكر عنه أيضاً أن الأفرنج في زمنه وصلوا إلى المنصورة في المركب واستظهروا على المسلمين وكان الشيخ مع العسكر فقويت الريح فلما رأى الشيخ حال المسلمين نادى بأعلى صوته مشيراً بيده الى الريح ياريح خذبهم عدة مرات . فعملت الريح على مراكب الأفرنج فكسرتها وكان الفتح وغرق أكثر الأفرنج وصرخ بين يدى المسلمين صارخ الحمد لله الذى

أرانا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً سخر له الريح .

وفى زمنه حكم هو على أمراء الدولة من الأتراك ببيعهم لأنهم لم يثبت عنده أنهم أحرار وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين فبلغهم ذلك وعظم الخطب عندهم ونزل نائب السلطان على فرسه وذهب لبيت الشيخ ليقتله فخرج الشيخ وحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها وأرعدت مفاصله فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له وقال له ياسيدى أى شئ تعمل . قال أنادى عليكم وأبيعكم قال ففيم تصرف ثمننا قال فى مصالح المسلمين قال من يقبضه قال أنا قال فتم له ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً وغالى فى ثمنهم وقبضه وصرفه فى وجوه الخير وهذا مالم يسمع بمثله عن أحد

« ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ »

هذا ولو فتحنا هذا الباب وسردنا منه مجرد

استشهادات مما حصل للأولياء المنقول عن أكابر العلماء بالأسانيد القويّة ما أمكننا سدّه . ولذلك نختصر على ماقدّمناه من البيانات العقلية فى مقامات السالكين ودرجاتهم تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون .

الباب الثالث

فى انتقال سيدى الأستاذ وتخليف سيدى الشيخ ابراهيم نجله خليفة له وانتشار الطريق على يده

انتقال سيرى الأستاذ

فى عام ١٣٣٨ هجريه قام سيدى الأستاذ إلى السياحة من أولها فكان يذهب إلى البلاد ويتنقل من بلد إلى أخرى وهو لايبالى بمطر أو برد مع كبر سنه وكان حاله ووجده بالله شديداً وكنت أتمنى لو أرافقه دائماً فى سياحته خصوصاً فى هذا العام لشدّة هيامه وشغله بالله مع قيامه